

سورة الكهف
والعصر الحديث

سلسلة الأنصاري التذكارية

سورة الكهف والعصر الحديث

دراسة تحليلية لسورة الكهف تهدف إلى إيضاح الواقع الكامن وراء التحالف الغامض بين يهود ونصارى أوروبا والذي يشن حرباً غاشمة على الإسلام ويضطهد المسلمين وهو ينفذ خطة عالمية خبيثة لصالح دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية .

عمران ن. حسين

مسجد جامعه

مدينة سان فرناندو ، ترينيداد وتوباغو

ترجمة: تمّام عدي

البريد الألكتروني : inhosein@hotmail.com
ihosein@tstt.net.tt
الموقع : imranhosein.org

2007

الناشر : **مسجد جامعه بمدينة سان فرناندو**
70 شارع موكورابو ، سان فرناندو ، ترينيداد وتوباغو

التوزيع : التسنيم سدن بهد X-630802
رقم 35-1 الطابق الأول ، شارع ملاتي أوتاما 4
ملاتي أوتاما ، ستاباك ، 53100 كوالا لمبور ، مالايزيا
هاتف : 603-41072999 فاكس : 603-41089815
البريد الألكتروني : tasneem@streamyx.com

تصميم الغلاف : باونس غرافيكس
البريد الألكتروني : bouncegraphics@gmail.com

﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

الآية 52 من سورة الفرقان 25

(أي جاهد الكفار بالقرآن باذلاً أقصى جهد ممكن)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ .

(صحيح مسلم)

"فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ."

(صحيح مسلم)

"مَنْ قَرَأَ ثَلاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ."

(سنن الترمذي)

"من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ."

(الحاكم والبيهقي وصححه الألباني)

إلى زوجتي الحبيبة عائشة ،

لقد بنيت لها بيتاً هنا في الأرض ،

وأدعو الله الرحمن الرحيم

أن يبني لها بيتاً في الجنة .

آمين .

تمهيد

يضيف الشيخ عمران ن. حسين كتابين نافعين إلى مكتبة العالم الصغيرة في حقلي تفسير القرآن الكريم وتأويله المكتوبة باللغة الإنجليزية : "سورة الكهف : نص وترجمة وتفسير" و "سورة الكهف والعصر الحديث" . و يأتي الكتابان في الوقت المناسب إذ يفسران التطورات التاريخية المعاصرة (والتي تحدث حسب نظام معين) من منظور إسلامي ، فيكون ذلك هدى للمسلمين عامة وللشباب المسلمين خاصة .

وينبغي أن يُقْرَأَ الكتابان في السياق الذي يشير إليه الشيخ عمران ، وهو " الواقع الكامن وراء التحالف الغامض بين يهود ونصارى أوروبا والذي يشن حرباً غاشمة على الإسلام ويضطهد المسلمين وهو ينفذ خطة عالمية خبيثة لصالح دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية ." وقد علت الأصوات في إحدى دول أوروبا منادية بحظر القرآن الكريم ، وقبيل ذلك هاجمت رسوم وقحة سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في نفس الدولة .

لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول مُفَسِّر للقرآن

الكريم ، وقد اتبع هذه السُنَّة في شرح كلام الله من جاء بعده . ولذلك نجد التفاسير العديدة للقرآن الكريم في اللغات العربية والفارسية والأردو ، ولكنها لاتفي بحاجات أكثر المسلمين الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية ويعيشون خارج العالم الإسلامي .

إن تفسير وتحليل وتأويل الشيخ عمران الواضح لسورة الكهف من الأهمية بمكان لأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خص هذه السورة من القرآن الكريم بضرورة القراءة في كل يوم جمعة . وسبب ذلك هو أن سورة الكهف تحتوي على بعض علامات آخر الزمان وأسرار ينبغي أن نتفكر فيها .

وقبل أن يشرع في تفسير الأمثال الأربعة (أصحاب الكهف ، وصاحب الجنتين ، ولقاء سيدنا موسى بسيدنا الخَضِر عليهما السلام ، وحكم ذي القرنين للعالم) ، فإن الشيخ عمران يسافر بالقارئ في رحلة روحية وفلسفية في محاولة لكشف أسرار معنى فكرة "الزمان" في القرآن الكريم . واحتاج إلى ذلك لكي تتبين أسرار الأمثال المذكورة .

يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن سورة الكهف تحتوي على الآيات والمؤشرات التي يحتاجها المؤمن لحماية نفسه

والدفاع عن نفسه ضد المسيح الدجال . يسلط الشيخ عمران أضواء جديدة على موضوع الدجال ويعطي القارئ بصائر شاملة عن أشكال الشر في نهاية التاريخ . ويصور لنا الشيخ العملية التاريخية لظهور يأجوج وماجوج المرعب ، والفساد الذي سيعيثونه في الأرض ، وهلاكهم في نهاية الأمر .

وتكمن قيمة تحليل وتأويل الشيخ عمران الشاملين لسورة الكهف في اتباعه لطريقة المفسرين الأوائل في ربط الآيات المتعلقة بالموضوع ببعضها البعض ، وكذلك ربطها بأحاديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أضف إلى ذلك أن الشيخ عمران من علماء الإسلام الأكفاء ومن خريجي دراسات العلاقات الدولية والفلسفة ، ولذلك فإن دراسته لسورة الكهف تبصرة للمسلمين ولكل من يريد أن يرى "بعينين اثنتين" (أي العين الداخلية والعين الخارجية) . ونظرته ثاقبة في السياسة العالمية ، وقد نجح بشكل مقنع في كشف الأقنعة وتبيان الحق من الباطل لأجل تمكين القارئ من فهم واقع العالم في هذه الأيام .

ونهنئ الشيخ عمران على تسليطه أضواء جديدة على سورة

الكهف . وسوف يساعد كتاباه المسلمين الذين يعيشون في هذه العالم الدنيوي بلا شك في رؤية حوادث التاريخ التي تتتابع حسب نظام معين ، بعينين اثنتين ، وربطها بعلامات العصر الأخير . وعندئذ فقط سيستطيع المسلمون أن يستعيدوا مكانتهم التي يستحقونها في مجرى التاريخ ، وأن يلعبوا دوراً نافعاً في نشر دروس الإسلام وقِيَمِه في هذا العالم الملحد المنحط .

وإني لأدعو الله تعالى أن يبارك في هذين الكتابين عن سورة الكهف وفي كتابيه الباقيين المكملين لرباعية سورة الكهف : "سورة الكهف والمسيح الدجال" و "سورة الكهف ويأجوج ومأجوج" . آمين .

الدكتور أبو الفضل محسن إبراهيم
أستاذ الدراسات الإسلامية
معهد الدين والتوحيد
جامعة كوا زولو ناتال
دربان
جنوب أفريقيا
25 أغسطس 2007

تعليق على كتاب

"سورة الكهف والعصر الحديث"

نعيش في عصر يبدو فيه أن أكثر علماء الإسلام قد نسوا البعد الداخلي للقرآن الكريم . وحتى المتصوفون في الغرب فإنهم يشغلون أنفسهم بالغوامض بينما يبدو أن أقرانهم في الشرق يركزون على السحر . وتتحصر علاقتهم بحكمائنا الأوائل في رواية سيرهم . ولأنهم لا ينظرون إلى التاريخ على أنه صراع متجدد بين الخير والشر ، فهم لذلك لايستطيعون قراءة وفهم حركة التاريخ ، ولا يستطيعون أن يتوقعوا تحديات *القوى المحركة للتاريخ* ولا أن يبذلوا رد فعل مناسب عليها . وهذا الخلل تعاني منه مؤسسات **الشريعة** (أي الشرع المفروض خارجياً) وكذلك مؤسسات **الطريقة** (أي الطريق الذي يوصل إلى وعي الشرع داخلياً) .

والاستثناء الوحيد المذهل لهذا الواقع المؤسف هو الدكتور محمد إقبال . ولكن حتى هو بقي بعيداً عن الأذهان لأكثر من ثمانين

سنة . فبينما بقي قراؤه معجبين بعبقريته ، فإنهم مازالوا عاجزين عن اشتقاق بصيرة روحية من أعماله تمكنهم من تفسير هذه اللحظة من التاريخ . وأول تسجيل لهذا الإخفاق متضمن في كتاب عمران ن. حسين "سورة الكهف والعصر الحديث" ، وقد اعترف المؤلف بفضل إقبال .

بينما أشار إقبال إلى "مفتاح" باب فهم الموضوع ، فقد فتح عمران ن. حسين الباب على مصراعيه لفهم التجسد الأقصى للشر في نهاية التاريخ . لقد كنا دائماً نؤمن أن كل وجه للشر قد فصله لنا بوضوح كلام الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم . فعندما قال تعالى "اقرأ" فقد قرأنا ولكن للأسف بعين واحدة فقط . إن كتاب "سورة الكهف والعصر الحديث" يشكل عرضاً عملياً لنظرية المعرفة التي تساعدنا على القراءة بعينين اثنتين ، لنرى الظاهر والواقع ، وعلم الاجتماع والتاريخ ، والماضي والحاضر والمستقبل . وحقاً فإن نظرية المعرفة لم تحظ من قبل بأهمية كالتي تحظى بها في هذا الكتاب .

إن هذا الكتاب (وكذلك كتب الشيخ الأخرى) يتجاوز التعريف بعلامات اليوم الآخر كالمسيح الدجال ويأجوج ومأجوج ، بل

يتناول بكل تفصيل تاريخ هذه الوحوش منذ ظهورها وحتى هلاكها في النهاية . فهو يتناول كل شؤون الحياة التي تفسدها الآن (أو سوف تفسدها في المستقبل) هذه الوحوش ، وخاصة في مجالي السياسة والاقتصاد . ربما تستمر هذه الوحوش لفترة زمنية معينة في السماح لجماعة التبليغ بأن تعقد اجتماعاتها ، وللجماعات الصوفية أن تعقد حلقات ذكرها ، وللشيعة أن تبكي وتضرب الصدور ، وللوهابيين أن يعبثوا عبثهم . ولكنهم لن يسمحوا أبداً بالتدخل في السياسة والاقتصاد ، وكأنهم يقولون "افعلوا ما تشاؤون ، ولكن لاتمسّوا نظام الانتاج والاستهلاك !" فعندما يعلن الله الجهاد (الحرب) على الفساد الاقتصادي ، فقد كانت ردود أفعالنا مقصرة دائماً ، فردية أحياناً ، ولم تكن جماعية أبداً .

ربما أعاد إقبال بناء الفكر الديني ، ولكن مهمة إحياء الحضارة الإسلامية كظاهرة حية وفاعل متحرك في مجرى التاريخ ما زالت في انتظارنا .

ويبقى على القراء وخاصة الشباب أن يدرسوا مؤلفات الشيخ عمران الشاملة وينشروا هذه الرسالة في كل أوساط الأنشطة

الإسلامية . وأتمنى أن أحفظ كل الحجج اللطيفة في الكتاب ، ولكنه ينبغي أن يُقْرَأ عدة مرات ، مع التركيز على نظرية المعرفة . هناك الكثير من المؤلفات عن حياة إقبال وفكره وفلسفته ونتاجه في لغات البنغلا والأردو والإنجليزية ، ولكن تعجبني كثيراً مادة هذا الكتاب القصيرة ونفاذه وتوازن طريقته .

محمد الأمغير , سدني ، أستراليا ، يونية 2007

المحتويات

سلسلة الأنصاري التذكارية

تُنشر سلسلة الأنصاري التذكارية تكريماً للعالِم الإسلامي الجليل الفيلسوف الشيخ الصوفي مولانا الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري رحمه الله (1914–1974) . ابتدأ نشر السلسلة عامَ 1997 في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاته .

كان مولانا الأنصاري عالِماً إسلامياً ومعلماً ومرشداً روحيًّا أمضى حياته مجاهداً في سبيل قضية الإسلام المقدسة في عالَمٍ أصبح عالَماً ملحداً أساسًا . وقد ساقته جهوده في هذه القضية المقدسة إلى أسفار عدة حول العالم بأكمله في جولات ألقى فيها محاضرات إسلامية في الفترة الممتدة من الخمسينات إلى السبعينات من القرن العشرين . كان يغادر بيته الجديد في كراتشي (حيث هاجر من الهند بعد نشوء باكستان عام 1947) فيسافر غرباً حتى يعود إلى بيته بعد أشهر من قِبَلِ المشرق .

تخرج مولانا من جامعة أليغاره الإسلامية في الهند حيث درس الفلسفة والدين . واستمد فكره الفلسفي والروحي من العالِم الإسلامي الدكتور محمد إقبال مؤلف إحدى نفائس العلوم

الإسلامية " Reconstruction of Religious Thought in Islam" (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام) . وإن الكتاب العظيم الذي ألفه مولانا الأنصاري " The Qur'anic Foundations and Structure of Muslim Society" (الأسس والبنية القرآنية للمجتمع الإسلامي) ليُعتَبَرُ استجابةً لدعوة إقبال إلى "إعادة بناء الفكر الديني" (reconstruction of religious thought) .

وتلقى مولانا الأنصاري تدريبه الروحي من أستاذه مولانا محمد عبد العليم الصديقي العالِمِ الإسلامي والشيخِ الصوفي والداعية المتجول . وأهَمُّ ما في ذلك هو أن مولانا الأنصاري تلقى نظرية المعرفة الصوفية من أستاذيه إقبال ومولانا الصديقي ثم علَّمها تلاميذَه .

تَفْهَمُ نظرية المعرفة الصوفية أن مقدرة قلب الإنسان على العِلْم بحقيقة الأشياء تنمو على أطوار . في البداية يَقْبَلُ الإنسان الحقيقة ظاهراً (أي يقولُ أسْلَمْتُ) ، ثم يعيشُ الإنسان هذه الحقيقة (الإسلام) بِصِدْقٍ بأن يُخْلِصَ نفسَه وعمَلَه وحياتَه لله تعالى (وهذا هو معنى'أسلمتُ وجهيَ لله') ، فتدخلُ الحقيقة في

قلبه بعد حين (أي ينمو الإسلام إلى طَوْر الإيمان) . وفي الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام أحمد في الزهد "إن السموات والأرض لم تطق أن تحملني وضقن من أن تسعنني ، وسعني قلب المؤمن الوارع اللين ." يصور هذا الحديث بحيوية نتائج دخول الحقيقة في القلب .

وبعدما تدخل الحقيقة في القلب ، يُنْعِمُ الله على المؤمن الذي يجاهد في ذات الله بالنمو من طور الإيمان إلى طور الإحسان ، وذلك بأن يُدْخِلَ نورَ الله في قلبه (﴿ والذين جاهدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا﴾ الآية 69 من سورة العنكبوت 29) . وهذا النور يجعل قوّةَ الملاحظة عند المؤمن وبصيرتَه (الحدس الروحي الباطن أو فراسة المؤمن) قادرة على النفاذ إلى ما وراء ما يبدو لنا من ظاهرِ (خارج) الأشياء لِتَصِل إلى حقيقة الأشياء في باطنها (داخلها) . في هذا الطور من نمو الحقيقة في القلب يُبْصِرُ المؤمنُ بعينين اثنتين: العينِ الظاهرة (العين الخارجية) والعينِ الباطنة (العين الداخلية) . والمسيح الدجال لا يبصر إلا بعين واحدة: العين الظاهرة . وطور الإحسان هذا يُسَمّى أيضاً بالتصوّف ، ولكن التسمية الأفضل هي الإحسان .

ولكي نفهم علامات الله (آيات الله) التي تحدث أمام أعيننا حسب نظام معين وباستمرار ، لكي نقرأَ عالَم اليوم ونفهمه فهماً صحيحاً ، لابدَّ لنا من هذا النورِ الداخلي الموجود في قلب المؤمن الحقيقي ، نورِ الله الذي يجعل بصر المؤمن وبصيرته قادرة على التفريق بين الحقيقة والوهم . وهذا المؤمن هو وحده الذي يَعِي ويرى حقيقة الأمور (أو الواقع) في عالَم اليوم بواسطة نور الله ، وهو وحده الذي يعلم أننا نعيش في عصر الفتن ، وهو العصرُ الأخير (اليوم الآخِر) أو عصرُ القيامة (يوم القيامة) الذي يبلغ أوجَهُ عند نهاية التاريخ وانتصار الإسلام . ثم يعقب ذلك نهاية العالم وتَحَوُّلُه إلى عالم جديد .

كرس مولانا الأنصاري السنين العشرة الأخيرة من حياته (1964–1974) لإنشاء معهد العليمية للدراسات الإسلامية في كراتشي ، حيث جاهد لتدريب جيل جديد من علماء الإسلام قادرين روحياً وفكرياً على استعمال القرآن والحديث لفهم ألغاز العصر الحديث ثم الرد المناسب على تحدِّياته الهائلة . ومن جهوده هذه ظهر علماء من أمثال الدكتور وفِّي محمد ، وعمران ن. حسين (ترينيداد ، جزر الهند الغربية) ، والدكتور

أبو الفضل محسن إبراهيم ، والدكتور عباس قاسم رحمه الله ، ومحمد علي خان ، وغيرهم (ديربان ، جنوب إفريقيا) ، وصدّيق أحمد ناصر ، ورؤوف زمان ، ومحمد صفي (غيانا ، أمريكا الجنوبية) ، وعلي مصطفى (سورينام ، أمريكا الجنوبية) ، وبشير أحمد كينو (موريشيوس) ، وكثيرون غيرهم ممن تخرجوا من معهد العليمية للدراسات الإسلامية في كراتشي في الباكستان .

تتألف سلسلة الأنصاري التذكارية من الكتب التالية التي كَتَبَها كلَّها واحدٌ من تلاميذ مولانا الأنصاري:

- Jerusalem in the Qur'an – an Islamic View of the Destiny of Jerusalem (القدس في القرآن – نظرة إسلامية في مستقبل القدس)
- Surah al-Kahf: Text, Translation and Commentary (سورة الكهف: نص وترجمة وتفسير)
- Surah al-Kahf and the Modern Age (سورة الكهف والعصر الحديث)
- The Religion of Abraham and the State of Israel — A

View from the Qur’an (دين إبراهيم ودولة إسرائيل – رؤية من القرآن)

- Signs of the Last Day in the Modern Age (علامات اليوم الآخر في العصر الحديث)
- The Importance of the Prohibition of Riba in Islam (أهمية تحريم الربا في الإسلام)
- The Prohibition of Riba in the Qur’an and Sunnah (تحريم الربا في القرآن والسنة)
- Dreams in Islam – A Window to Truth and to the Heart (الأحلام في الإسلام – نافذة إلى الحق والقلب)
- The Caliphate, the Hejaz, and the Saudi-Wahhabi Nation-State (الخلافة والحجاز والدولة–الأمة السعودية–الوهابية)
- The Strategic Significance of the Fast of Ramadan, and Isra' and Mi'raj (الأهمية الاستراتيجية لصوم رمضان والإسراء والمعراج)
- One Jama’at - One Amir: The Organization of a Muslim Community in the Age of Fitan (جماعة واحدة – أمير

واحد: تنظيم الجماعة الإسلامية في عصر الفتن)

⅄ An Islamic View of Gog and Magog in the Modern World (رؤية إسلامية ليأجوج ومأجوج في العالم الحديث)

هذه السلسلة التي تُصَوِّرُ على الأقل بعض 'ثمار الشجرة' التي غرسها مولانا مكرسة للجهود الساعية إلى فهم واقع وحقيقة عالم اليوم ، وتفسيره بدقة ، والردّ المناسب على تحديات هذا الواقع التي لم يسبق لها مثيل .

وقد أضيفت مؤخراً ثلاثة كتب جديدة إلى السلسلة تشكل جزءاً من رباعية كتب عن هذه السورة . اثنان منها عن سورة الكهف هما هذا الكتاب وكتاب "سورة الكهف: نص وترجمة وتفسير" ، و الكتاب الثالث في رباعية سورة الكهف هو كتاب "رؤية إسلامية ليأجوج ومأجوج في العالم الحديث" ، والرابع والأخير هو مشروع كتاب عن المسيح الدجال.

ولاتكتمل السلسلة إلا بكتاب عن سيرة العالِم نفسه – حياته ومؤلفاته وفكره . وقد ابتدأ العمل على هذه السيرة ونأمل أن يتم بنجاح إن شاء الله .

وقد كرّم مولانا الأنصاري شيخه مولانا محمد عبد العليم الصديقي بإنشاء معهد العليمية للدراسات الإسلامية في باكستان وبنشر سلسلة العليمية التذكارية . وتمثل سلسلة الأنصاري التذكارية جهداً متواضعاً اقتداء بهذه السنّة الكريمة .

تقديم

الحمد لله جل وعلا الذي تم بفضله نشر هذا الكتاب "سورة الكهف والعصر الحديث" . بارك الله في هذا العمل المتواضع وجعله يصل إلى المسلمين في كثير من أنحاء الأرض . ونرجو أن يعينهم هذا الكتاب على الاقتراب من القرآن ومن هذه السورة بالذات ، وخاصة كل يوم جمعة عندما تتلى السورة للوقاية من فتنة الدجال . ونرجو أن يذكرهم الكتاب بمعاني السورة ، والأهم من ذلك ، أن يزيد باستمرار في عمق فهمهم للسورة الكريمة . آمين !

تشتد الحرب على الإسلام ويقترب ذلك الوقت الذي تحاول فيه دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية الدجالة أن تصبح الدولة الحاكمة للعالم لكي يحكم المسيح الدجال العالم من القدس ويعلن أنه المسيح الحقيقي . وأخشى أن تحرّم جهات كثيرة في المستقبل الكتب التي تناقش آيات القرآن . فلذلك أرجو من القارئ العزيز أن يشاركني الدعاء أن يحفظ الله تعالى الكتب المشابهة لهذه الرباعية المتواضعة عن سورة الكهف ، والتي

تستعمل القرآن الكريم لتفضح الذين يشنون حرباً غاشمة على الإسلام والمسلمين في هذا العصر الحديث الكافر . آمين!

يشن نظام عالمي أوروبي غامض (ومن ورائه تحالف بين اليهود والنصارى) حرباً على الإسلام لصالح دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية . ونأمل أن يكون هذا الكتاب المتواضع رائداً وملهماً لآخرين هم أفقه من المؤلف لكي يقوموا بجهد أشمل لاستعمال هذه السورة في تفسير عالم اليوم .

ويُنشَر في نفس الوقت كتاب "سورة الكهف: نص وترجمة وتفسير" كمرافق لكتابنا هذا التحليلي الرئيسي .

وسيتم بإذن الله نشر كتاب إضافي يحتوي على تفسير شامل للآيات والأحاديث المتعلقة بموضوع المسيح الدجال بعدما نشر كتاب "رؤية إسلامية ليأجوج ومأجوج في العالم الحديث" . وعليه ستتكون هذه السلسلة الرباعية من الكتب التالية :

1. سورة الكهف : نص وترجمة وتفسير
2. سورة الكهف والعصر الحديث
3. رؤية إسلامية ليأجوج ومأجوج في العالم الحديث

4. المسيح الدجال

ونشكر الذين دعموا نشر الكتابَيْن الأولَيْن ، وهم : رابعة أبو بكر حسين جاخورا ، وأبو بكر حسين جاخورا ، من ملاوي بأفريقيا ، وعبد الماجد قادر سلطان رحمه الله ، وفاطمة عبد الله ، ومحمد إسماعيل بيتشاي ، من ماليزيا ، والحاجة حنيفة بنت عمر خان سوراتي ، والحاجة مريم بنت فقير محمد رحمها الله ، من سنغافورة . بارك الله بهم جميعاً ورحم المتوفين منهم . آمين!

عمران ن. حسين

كوالا لمبور ، ماالايزيا ، يونية 2007

الفصل الأول : مقدمة

يحلل هذا الكتاب سورة الكهف ويؤولها في محاولة لتفسير واقع العالم في العصر الحديث . وقد كُتِبَ الكتاب بحيث ينتفع به الذين يؤمنون بأن القرآن الكريم كتاب مُنْزَل من عند الله تعالى . أما الذين لا يؤمنون بالقرآن أو يرفضون كونه منزلاً من عند الله ، فليثبتوا دعواهم بالاستجابة للتحدي الذي صدر منذ 1400 عام بأن يأتوا بسورة من مثله .

وعلى هذا نستطيع أن نبدأ بلفت الانتباه إلى تصريح القرآن الكريم بأن وظيفته الرئيسية هي *شرح كل شيء* :

﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾

(الأية 89 من سورة النحل 16)

وقد ينسى المسلمون أنه لا أحد يستطيع النفاذ إلى حقيقة الواقع في العصر الحديث من غير شرح القرآن الكريم وهديه في ذلك . وما زالت هذه الحقيقة تنطبق على العولمة ، والسياسة الدولية ، واقتصاد العالم ، وشؤون النقود الدولية ، والازدهار المتزايد

للذين ينتمون إلى النظام العالمي الحديث أو يدعمون ذلك النظام الذي صنعه يهود ونصارى أوروبا ، والفقر المتزايد والفاقة للذين يقاومون حكم يهود ونصارى أوروبا . كما ينطبق ذلك على الثورة النسوية الحديثة ، وكذلك على عودة اليهود إلى الأرض المقدسة ليمتلكوها أرضاً لهم ، ويعيدوا تأسيس دولة إسرائيل (في الأرض المقدسة بعد 2000 عام من أمر الله بتدميرها) ، وكون إسرائيل تكاد تصبح "الدولة الحاكمة" للعالم .

وإن الذي لا يفهم واقع عالم اليوم لن يستطيع أن يتيقن أنه على الهدى ، وبالتالي لا يعتمد عليه في إرشاد غيره . ومصيبة المسلمين اليوم هي أن أكثر قادتهم لا يفهمون الواقع ، فهم أنفسهم ضالون ضلالاً بعيداً . أما عباد الله المخلصين الذين أنعم الله عليهم بمعرفة الواقع ، فهم إما ممنوعون من التدريس ، أو مُشَيْطنون ومهمَّشون وملاحقون يحيث يتعذر عليهم أن يكونوا مرشِدين ، فلا يكاد إرشادهم يصل إلى عامة المسلمين . ويواجه العالِم المسلم الذي يؤول القرآن الكريم والأحاديث الشريفة مستعملاً بصيرته الروحية في محاولة لتفسير عالَم اليوم الغامض في هذه الأيام مشكلة أخرى كبيرة ، إذ ينبذه أقرانه

الذين عميت بصيرتهم ويشككون في صحة علمه .

ويثبت هذا الكتاب أن الذين يفهمون واقع العالم اليوم هم أناس درسوا شرح القرآن للعصر الحديث وهديه في هذا الموضوع وفهموا ذلك ، وخاصة ما جاء في سورة الكهف . وهم كذلك الذين يدركون أن سورة الكهف يجب أن تتلى كل يوم جمعة للوقاية من فتن هذا العصر .

ويصرح هذا الكتاب بأن العلم الديني الذي يدرس في دور العلوم الإسلامية غير كافٍ للنفاذ إلى شرح القرآن لواقع عالم اليوم . فبالإضافة إلى حقائق الدين الأساسية الثابتة ، ينبغي على عالِم الإسلام أن يصل إلى "العلم الاستراتيجي" . وهذا العلم يأتي عن طريق مايسمى في القرآن بالبصيرة (الفراسة أو الرؤية الروحية) وباتخاذ موقف ناقد في دراسة الفكر الحديث الذي يأتي من الحضارة الغربية الحديثة والتي هي حضارة كافرة أساساً . وهذا لأن أكبر تَحَدٍّ للإسلام ولطريقة الحياة المتدينة قد جاء من تلك الحضارة .

ونقول إن علماء الإسلام سوف يخدعهم عالَم اليوم باستمرار ، إلا إذا كان عندهم بصيرة (رؤية روحية ، بالإضافة إلى العلم

المستمد خارجياً) وكانوا يرون بنور من عند الله . وهذا لأن من طبيعة الحضارة الغربية الحديثة أن تختلف فيها المظاهر عن الواقع اختلافاً كبيراً في أكثر الأحيان . فعلى وجه المثال ، تُعرَض الطريق إلى جهنم بشكل مخادع يظهرها على أنها الطريق إلى الجنة (أي التصنيع والتحديث والتقدم والازدهار) وبالعكس أيضاً ، تماماً كما نبأنا الرسول صلى الله عليه وسلم .

لقد سلك شيوخ التصوف الحقيقي على مر التاريخ الطريق المؤدية إلى البصيرة أكثر من غيرهم ، ونجحوا بذلك في النفاذ إلى واقع الأمور المخبأ عن الأنظار . ولكننا نعيش اليوم في زمن يستمر فيه التهجم الشرس على مشايخ الصوفية الحقيقيين أمثال أستاذنا القدير مولانا الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري طيب الله ذكره (1914–1974) واستاذه القدير مولانا محمد عبد العليم صدّيقي (1892–1954) سراج الجاذبية الروحية المتألق .

ويذكّر هذا الكتاب بأن مِنَ الناس من ختم الله على قلوبهم فلن يفهموا القرآن أبداً :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

(الآية 57 من سورة الكهف 18)

ماهو تفسير القرآن لواقع العصر الذي نعيشه ؟

يقودنا تحليل سورة الكهف إلى استنتاج أن العالم الآن في العصر الأخير ، أي عصر القيامة ، وأن اللاعبين المسيطرين في العصر الحديث هم المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج . وهذا الاستنتاج من الأهمية بمكان لأنه يؤكد لنا أن العصر الذي نعيشه خادع وكافر وظالم ومليء بالمخاطر التي لم يسبق لها مثيل .

ونرى والله أعلم أن العصر الأخير ابتدأ عندما غير الله تعالى اتجاه القبلة للمؤمنين من القدس إلى مكة . كانت القبلة في القدس هي المسجد الأقصى الذي بناه النبي سليمان عليه

السلام وكان فيه الصخرة المقدسة ، والقبلة في مكة هي المسجد الحرام (أو الكعبة) الذي بناه النبي إبراهيم عليه السلام ، وفيه أيضاً حجر مقدس . وحدث تغيير القبلة بعد حوالي سبعة عشر شهراً من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة .

وكنتيجة مباشرة لتغيير القبلة شهد العالم ولادة أمة على ملة إبراهيم تحت قيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وحلت هذه الأمة محل بني إسرائيل بوصفها الأمة "المختارة" الجديدة التي تمثل دين إبراهيم الحقيقي عليه السلام . وعندما رفض اليهود الاعتراف بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو حقاً نبي الله ، فقد بنو إسرائيل ماتبقى من شرعيتهم كأمة دينية .

كان اليهود مستعدين أن يعترفوا بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو نبي أُرسِلَ إلى العرب . ولكنهم أَلَحُّوا في رفض دعوى إرسال نبي عربي إلى الذين هم "شعب الرب المختار" (أي اليهود) ، بل أصروا ألا يُرسَل إلى اليهود إلا نبي يهودي .

وكنتيجة مباشرة لرفض اليهود للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم الذي أنزل إليه ، فقد أخرج الله تعالى في حينها

المسيح الدجال وفتح يأجوج ومأجوج على العالم . وهكذا بدأ العصر الأخير في الوقت المناسب وأثناء حياة آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا سبب تصريحه الشهير وهو يرفع أُصْبُعين متجاورتين :

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى .

(صحيح البخاري)

لا أحد يستطيع أن يشرح العصر الأخير أو أن يتخذ رد فعل على تحدياته إلا بفهم موضوعَيْ الدجال ويأجوج ومأجوج فهماً عميقاً . وهذا الكتاب يبيّن أن سورة الكهف هي مفتاح هذين الموضوعين . فهي تفسر العصر الحديث الغريب الذي تستمر مكوناته في الظهور حسب نسق معين ينذر بالسوء .

وقد استنتجنا أيضاً من دراستنا لسورة الكهف أن إيمان المسلم لا يمكن أن يَسْلَمَ إلا إذا اتخذ المؤمنون خطوات للانفصال عن مدن العصر الحديث الكافرة وسعوا لإقامة الإسلام في الأرياف النائية . وهذا يطابق رأي عالم الإسلام التركي العظيم بديع

الزمان سعيد نورسي . وكذلك كان للقائد الشيوعي الصيني ماو تسي تونغ رأي مشابه بشأن طريقة نضاله الثوري . ونحن نقترح كخطة عريضة أن يُقام الإسلام على مستوى أصغري في قرى إسلامية نائية حيث يكون نساء المسلمين وأطفالهم في مأمن من الظلم والكفر والانحطاط والفوضى التي تستولي على العالم .

أما علماء المسلمين في العصر الحديث الذين تنقصهم نظرية المعرفة ، فإنهم يدعمون وجهة نظر معاكسة تماماً ، إنهم يزعمون أن على المسلمين واجب البقاء كجزء فعال في العالم الحديث ، وأن عليهم أن يتبعوهم بأن يقيموا في المدن الكبرى للعصر الحديث لكي يلعبوا دورهم في إرشاد الناس إلى الصراط المستقيم .

سورة الكهف واليهود والعصر الأخير

ترتبط سورة الكهف ارتباطاً خاصاً باليهود والعصر الأخير . وينبغي أن يهتم كل يهودي ونصراني بفهم هذا الارتباط .

سأل أحبار المدينة ثلاثة أسئلة اختباراً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم . فإذا أجاب عليها إجابات صحيحة فإن ذلك سيثبت أنه نبي فعلاً . وسنروي هذه الواقعة بالتفصيل ، ونذكر الأسئلة والأجوبة ، وكذلك سنحاول تحليل هذه الأجوبة .

إن الفحص الدقيق للأسئلة وكذلك الأجوبة التي يعطيها القرآن ، يرينا أن الأسئلة نفسها لم تكن تستهدف مواضيع اختبار النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كانت المقاصد الحقيقية مخفية وراء الأسئلة المطروحة . فقد طرحت الأسئلة بمكر وكانت الغاية منها هي معرفة فيما إذا كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يعلم بأمر الدجال ويأجوج ومأجوج اللذَيْن يشكل خروجهما علامتين من علامات اليوم الآخر .

تبدأ سورة الكهف بالجواب على السؤال الأول الذي كانت غايته المخفية هي أمر الدجال . والهدف الرئيسي من هذا الكتاب هو تحليل السورة بحيث نستخرج إرشاداتها التي ستعطي المؤمنين فهماً عميقاً للدجال ، وستزيد في مقدرتهم على حماية أنفسهم وعوائلهم من فتن الدجال (أي الاختبارات والامتحانات) .

وعندما أجابت السورة على السؤال الثاني ، فإنها أعطتنا تعريفاً

بموضوع يأجوج ومأجوج .

تحتوي سورة الكهف على أربعة قصص ، يرد بعضها كحكاية ويرد بعضها الآخر في معرض ضرب الأمثال . تعطينا القصة الأولى عن الفتية والكهف فهماً أعمق للدجال وكذلك يأجوج ومأجوج . وأما القصة الثانية عن الرجل الغني والرجل الفقير فهي تشير أساساً إلى الدجال . وأما القصة الثالثة عن موسى والخَضِر عليهما السلام ، فربما تكون أهم القصص الأربعة ، وهي تزيد من فهمنا للدجال كذلك . وأما القصة الرابعة والأخيرة عن المسافر الكبير فهي تعرفنا بيأجوج ومأجوج وتشرح موضوعهم . فالكتاب يشرح هذه القصص والأمثال الأربعة من سورة الكهف .

وقبل أن نبدأ بهذه القصص والأمثال الجميلة ، لا بد لنا من دراسة مفهوم الزمن في القرآن الكريم . وإذا لم نفقه هذا الموضوع ، فلن نستطيع أن ننفذ إلى معاني التعابير الرمزية الدينية الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف في معرض الحديث عن العصر الأخير ، ولن نستطيع أن نفهم اللاعبين المسيطرين في العصر الأخير ، وهم المسيح الدجال ويأجوج

ومأجوج . ولذلك يبدأ الكتاب بموضوع خارج تماماً عن المعتاد ، وهو "القرآن والزمن" .

عندما كنت شاباً من تلاميذ مولانا الدكتور الأنصاري في معهد العليمية للدراسات الإسلامية بكراتشي في باكستان في السنوات 1964–1971 ، لم أستطع أن أفهم أبداً لماذا كان يركز كثيراً من الانتباه والمجهود على تدريس موضوع "الزمن المتعدد الأبعاد" في الإسلام . أما الآن وبعدما اكتشفت العلاقة الوثيقة بين "الزمن" وعلامات اليوم الآخر ، فإني أدرك أخيراً مدى حكمة ذلك الأستاذ في محاولة تدريسنا هذا الموضوع الصعب في ذلك الوقت البعيد من الماضي .

ولكن هذا الموضوع لم يعُدْ يُدَرَّس حتى في دور العلوم الإسلامية أو المعاهد الإسلامية العالية . وربما يكمن سبب ذلك في الحرب القائمة الآن على قلب الإسلام الروحي ، أي التصوف أو الإحسان . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد ترك كثير من الصوفيين أنفسهم نظرية المعرفة الصوفية التي تعترف بالفراسة (الحدس الروحي) كمصدر للمعرفة . وقد ذكرنا بعض الأدلة على هذه الظاهرة المحيرة في مقالنا "إقبال ونظرية

المعرفة الصوفية ونهاية التاريخ" (المتضمن في كتابنا المكون من مجموعة مقالات "علامات اليوم الآخر في العصر الحديث") .

الفصل الثاني : القرآن والزمن

بناءً على مايعلمنا الله تعالى في سورة الكهف عن مفهوم "الزمن" ، واعتماداً على تأويلنا لهذا المفهوم القرآني ، فإن جوهر الزمن معقد ومتعدد الأبعاد . إن الزمن يتحرك حركة متعددة الأبعاد إذ يمر خلال العصور . ولا ينفذ إلى الواقع الحقيقي للزمن إلا المؤمن الصالح الذي يهبه الله تعالى نوراً من عنده يعطيه المقدرة على ذلك . وفي سورة العصر الشهيرة التي سميت باسم الزمن (العصر) يحذرنا الله العلي الحكيم أنه لاينجو من الحيرة والضلال بشأن موضوع الزمن إلا المؤمنون . أما غير المؤمنين ، فسوف يكونون في حالة خسارة لأنهم لايستطيعون أن يتصوروا مفهوم الزمن ، ولذلك لايستطيعون السباحة في نهر الزمن إلى شاطئ الأمان ، إلى حيث يجري نهر الزمن ليستقر في مكان يشهد فيه الناس الانتصار النهائي للحق على الباطل (أنظر الآيات 1–3 من سورة العصر 103).

لقد مكث الفتية في الكهف 300 سنة ، ولكنهم حسبوا أنهم لبثوا

يوماً أو بعض يوم ، لأن كل تجربة روحية واتصال بالخلود ينقلنا إلى عالم نفقد فيه الشعور بأثر الزمن ، أي الشعور بـ"هنا والآن" أو بـ"هذه اللحظة" . وكل من يخرق جدار "هنا" و "الآن" يستطيع أن يشعر بـ**انعدام الزمن** . ولا يخرق جدار الزمن إلا الحب الحقيقي لله تعالى وتكريس النفس بإخلاص لدين الحق .

نقول : لن يفهمَ الدجالَ ، العقلَ المدبرَ لعالَم اليوم الغريب ، إلا من يحرر عقله من سجن "هنا والآن" وينفذ إلى عوالم الزمن المختلفة .

وسيبقى وعيُ كُلِّ الناس سجيناً لبعد زمني واحد ، إلا الذين يؤمنون بالله تعالى . وعندما يبعث الله الذين لا يؤمنون في اليوم الآخر ، فسوف يَكْشِف الغطاء عن أعينهم ، فيصبح بصرهم حادّاً بشكل لم يكن ممكناً من قبل . وبالتالي فإن هذا البصر الحادّ سوف يكشف لهم شيئاً من حقيقة واقع الزمن .

يصف القرآن الكريم نوعاً من الناس سوف يضطرون إلى الخروج من سجن الزمن ليروا العالم الواقعي . ومع أنهم عاشوا لعشرات السنين في هذه الحياة ، فإنهم سوف يُبْعَثون إلى عالم جديد (﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ...﴾ ،

الآية 48 من سورة إبراهيم 14 ، أي نظام خلق يختلف عن نظام الخلق الحالي) ، وعندئذ سوف يشعرون هم أنفسهم بهذا البعد الجديد للزمن الذي ولدوا فيه من جديد . وحينئذ سيقولون إن عشرات السنين التي قضوها في حياتهم السابقة تبدو وكأنها كانت "يوماً أو بعض يوم" :

﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾
(الآية 22 من سورة ق 50)

أي كنتَ غافلاً من قبل عن يوم القيامة هذا ، والآن رفعنا الحجاب عن عينيك فأصبح بصرك حادّاً . ومن أول الأشياء التي سيرونها الآن بواسطة هذا البصر الحاد هو واقع الزمن .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (114) ﴾
(الآيات 112–114 من سورة المؤمنين 23)

أي فيسأل أصحاب الجحيم : كم عدد السنوات التي مكثم فيها

في الأرض ؟ فيجيبون : مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم ، ولكن سَلِ الذين يستطيعون إحصاء الزمن . فيقول لهم : مامكثتم إلا وقتاً قصيراً ، لو كنتم تعلمون .

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (56) ﴾
(الآيتان 55–56 من سورة الروم 30)

أي يوم تقوم ساعة الحساب سوف يحلف المجرمون أنهم لم يمكثوا في الأرض إلا ساعة من الزمن ، لقد تعودوا أن يخدعوا أنفسهم بهذا الشكل . ولكن الذين أعطاهم الله العلم والإيمان سوف يقولون لهم : لقد مكثتم إلى يوم القيامة كما كتب الله عليكم ، وهذا هو يوم القيامة ، ولكنكم لم تكونوا تدركون ذلك .

إن هذه الآيات تكشف لنا أن هناك علاقة بين الإيمان والزمن بحيث أن الذين عندهم إيمان يستطيعون أن ينفذوا إلى حقيقة واقع الزمن ، فعمق النفاذ إلى هذه الحقيقة هو مقياس للإيمان .

الإسلام "البروتستانت" ومفهوم الزمن

إن ظاهرة "البروتستانت" هي ظاهرة أوروبية ، وهي تمثل مفهوماً غريباً للدين سُلِبَتْ منه نواته الروحية . فهو بذلك يمهد لإنشاء نظرية معرفة غربية "عوراء" تحصر العلم في ظاهر الأمور بينما تشكك في ما يأتي عن طريق الداخل أو الروح أو تعتبره باطلاً . وعندما تأثر الفكر الإسلامي بهذا النوع من نظرية المعرفة ، نشأ عن ذلك الإسلام "البروتستانتي" الذي تخلى عن البحث الروحي ، وتحول في النهاية إلى حركة غريبة تخدم المسيح الدجال بأقصى جهدها إذ تحارب الصوفيين المسلمين وتحارب استعمال الحدس الروحي (الفراسة أو البصيرة) في تأويل الرموز الدينية .

لقد شرح النبي صلى الله عليه وسلم موضع المسيح الدجال بالتفصيل ، ومما قاله عنه:

"... قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ..."

(صحيح مسلم ، عن النواس بن سمعان)

ومن المؤسف جداً فقد انخدع بعض علماء الإسلام بسبب التأثير العميق للاستعمار الغربي الحديث ليهود ونصارى أوروبا الذي استولى على العالم الإسلامي ، فاعتنقوا الإسلام على طريقة "البروتستانت" . ولذلك فهم لا يرون إلا بالعين "الخارجية" ولا يريدون أو لايستطيعون أن يفسروا الزمن في الحديث أو القرآن إلا بمعناه الحرفي . وهؤلاء العلماء يصرّون على أن هناك مكاناً في الأرض ، سنجده إذا بحثنا عنه جيداً ، يكون فيه اليوم الواحد المعروف طوله سنة كاملة . وكذلك نستطيع أن نجد مكاناً يكون فيه اليوم بطول الشهر ، وآخر بطول الأسبوع ، وأنه عندما يطلق الله تعالى سراح الدجال ، فإننا سوف نجده في تلك الأماكن .

وللأسف فإن أقرب مانجده من هذا القبيل هو القطبان الشمالي والجنوبي حيث يستمر النهار ستة أشهر ويليه ليل طوله ستة أشهر . ولكن هذه الظاهرة لا تُفَسِّر الحديث .

لأكثر من ألف سنة كان شيوخ التصوف الإسلامي الحقيقي ، أولئك الخبراء الروحيون اللامعون ، قادرين على سبر أغوار طريقة الحياة الدينية ، كالخَضِر عليه السلام ، مبصرين بعينين

اثنتين ، الخارجية والداخلية (وكان الإمام الغزالي واحداً منهم) . وبسبب عمق إيمانهم كانوا قادرين على فهم حقيقة واقع الزمن .

واقتداء بالخَضِر عليه السلام ، فقد استعملنا نظرية المعرفة الصوفية التي تعتمد على الحدس الروحي لتأويل الرموز الروحية (تأويل الأحاديث) . فرفضنا الفكرة القائلة بأن البحث عند القطبين أو في أي مكان في الأرض سوف يقودنا إلى مكان الدجال . بل نرى أن المكان الوحيد الذي سوف يستطيع المؤمن أن يرى فيه الدجال ويتعرف عليه هو في الأرض المقدسة ، ويكون ذلك عند نهاية حكمه الشرير في الأرض عندما يكون يومه كيومنا ، أي عندما يكون في بعدنا الزمني .

ربما كانت البركات الخاصة التي أعطاها الله تعالى للأرض المقدسة هي السبب في حصول الانتقالات العديدة من أبعاد الزمن المختلفة إلى بعدنا الزمني في تلك الأرض . وهذا يفسر سبب الإسراء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى القدس لكي يعرج إلى السماوات السبع (أي الطبقات السبع من الزمان والمكان التي تختلف عن زماننا ومكاننا ، والتي سواها الله تعالى بعد أن خلق الأرض وما عليها لمنفعة البشر ، أنظر الآية 29

من سورة البقرة 2) .

ولكن عندما سنرى الدجال بأعيننا الخارجية سيكون قد أنهى مهمته بنجاح ، وستكون أيامه الأربعون الغامضة قد أوشكت على الانتهاء . فالذين لايزالون عاجزين عن التعرف على نشاط الدجال في عالمنا [قبل انتقاله إلى بعدنا الزمني] ليسوا قادرين على إرشاد المؤمنين لأنهم أنفسهم مخدوعون .

ولانمنع العلماء المسلمين "البروتستانت" من حقهم في استمرار البحث . إنهم مازالوا ينتظرون أيضاً مجيء "الحمار" الذي يقول الحديث إن الدجال سيأتي راكباً عليه : "تحت الدجّال حمار أقمر طولُ كلِّ أذن من أُذنيه ثلاثون ذراعاً يتناول السَّحاب بيمينه ويسبق الشمس إلى مغربها..." (كنز العمّال) "يخوض البحرَ لا يبلغ حقويه..." (رواه أبو نعيم) . وقد استعملنا نظرية المعرفة الصوفية لندرك أن هذه الأحاديث تستعمل تعابير رمزية ، ولكي نؤولها . فالحمار يرمز إلى الطائرة الحديثة ، والتقنيات الحديثة تسمح باختراق أعماق البحار ، وبذلك نفهم نبوءة "خوض" الدجال في البحر إلخ .

الأحمدية ومفهوم الزمن

ربما يتساءل القارئ عن علاقة الأحمدية بموضوع الفصل ، فلنشرح ذلك . إن حركة الأحمديه من صنع الإسلام البروتستانتي ، وهي لذلك غير قادرة على فهم موضوع الزمن في الإسلام . لقد تمسك أعضاء هذه الحركة بتعاليم مؤسس الحركة الضالة بشأن المسيح الدجال وكذلك بشأن عودة المسيح الحقيقي عيسى بن مريم عليه السلام .

ادعى ميرزا غلام أحمد مؤسس حركة الأحمدية أن نبوءات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عن عودة المسيح الحقيقي عيسى بن مريم عليه السلام قد تحققت في شخصه . وإن صح هذا (وهو باطل طبعاً) فقد كان على ميرزا أثناء حياته أن يقتل الدجال كما تقول نبوءة الحديث . وهذا يعني أن الدجال كان سيعيش أيامه الأربعين كلها في الأرض قبل أن يقتله مؤسس حركة الأحمدية بوصفه المزعوم أنه حل محل عيسى بن مريم .

لقد مات ميرزا غلام أحمد قبل قرابة قرن (من كتابة هذا الكتاب) ، ولكنه لم يحاول ولا حاول أحد من أتباعه الضالين حتى اليوم أن يؤول ويشرح الأربعين يوماً التي قضاها الدجال على وجه الأرض قبل أن يقضي عليه المسيح "الهندي"

(الكذاب) بزعمه .

وبسبب عجز الأحمدية عن النفاذ إلى موضوع الزمن والعوالم المختلفة (السماوات) للمكان والزمان ، فقد اتخذوا موقفهم الخاطئ من إسراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى القدس ومعراجه إلى السماوات . إنهم يدعون أن الإسراء والمعراج كانا مجرد تجربة روحية لم تشتمل على سفر خارق للعادة في طبقات المكان والزمن . وكذلك ينكرون رفع عيسى عليه السلام عابراً للسماوات ، وينكرون عودته . بل يؤمنون أنه نجا من محاولة صَلْبه وسافر إلى كشمير حيث وجدوا قبره المزعوم .

كان ميرزا غلام أحمد مسيحاً دجالاً من جملة عدد كبير من الدجالين الكذابين الذين تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بمجيئهم الغامض . وعندما ندرس ميرزا وتعاليمه الباطلة فإن ذلك يعطينا معلومات ثمينة نستطيع بواسطتها التعرف على آثار أقدام الدجال ، ومن هنا تأتي أهمية ذكر حركة الأحمدية في هذا الجزء من الفصل .

محمد إقبال ومحمد أسد

ولا يقتصر الخطأ في هذين الموضوعين الهامين المتعلقين بمفهوم الزمن الإسلامي على المسلمين البروتستانت والأحمدية ، بل أخطأ في معرفة الزمن علماء مشهورون أمثال د. محمد إقبال ومحمد أسد رحمهما الله ، حتى أن إقبال استنتج مخطئاً أن الجنة والنار حالان وليستا مكانين :

الجنة والنار حالان وليستا مكانين ، وأوصافهما في القرآن هي تمثيلات مرئية لواقع داخلي ، أي خُلُق . فالنار بألفاظ القرآن هي "نارُ الله الموقدة ، التي تطَّلِعُ على الأفئدة" ، أي إدراك المرء المؤلم لفشله كإنسان . أما الجنة فهي الفرح بالانتصار على قوى التفكك .
(إقبال ، "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام" ، أكسفورد يونيفرستي بريس ، لندن ، 1934 ، صفحة 116)

أما محمد أسد فقد كان متيقناً من أن عيسى عليه السلام قد مات ولذلك فلن يعود ، إلى درجة أنه أعلن عن هذا الاعتقاد الخاطئ الخطير في ترجمته التفسيريه الشهيرة للقرآن الكريم (أنظر ترجمته وتفسيره للآية 117 من سورة المائدة 5 والآية 55 من سورة آل عمران 3) .

وفي الحالتين فإن سوء فهم إقبال وأسد لواقع الزمن قد أدى إلى خطإ فاحش .

ماوراء "الزمن الحرفي"

الواقع أن المكان والزمان كلاهما متعدد الأبعاد . والجنة والنار مكانان وليستا مجرد حالين ، ولكنهما موجودتان في أبعاد مكان وزمان تختلف عن بُعْد الزمان والمكان الذي نعيش فيه . وسنحاول في هذا الفصل الهام أن نشرح الزمن بشكل نأمل به أن نحث الشاكّين على إعادة النظر في الموضوع .

قال الله تعالى إنه خلق الأرض بأكملها في يومين ، وخلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ولا يمكن أن تكون هذه أياماً بالمعنى الحرفي الذي نفهمه لأن هذا المعنى لم يأت إلى حيز الوجود إلا بعد خلق السماوات والأرض :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الآية 9 من سورة فُصِّلَتْ 41)

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾
(الآية 3 من سورة يونس 10)

ويتضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث التالي أن معنى الزمن يتجاوز المعنى الحرفي الذي نفهمه :

"عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ قَالَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قَالَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْمَسْجِدُ الأَقْصَى قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ ."

(صحيح البخاري)

إذا فسرنا الزمن (أربعون سنة) في هذا الحديث حرفياً فإن الحديث سيعتبر طبعاً غير صحيح . ولا نحتاج إلا لحظات من التأمل لندرك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بلفظ السنة في هذا الحديث إثني عشر شهراً قمرياً . لم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم السنة بالمعنى المعروف لا في هذا الحديث في قوله "أربعون سنة" ولا في الحديث عن الدجال في

قوله "يوم كسنة" .

من المستحيل أن نفهم معنى حياة الدجال لمدة أربعين يوماً في الأرض (أو معنى فترة أربعين سنة بين بناء المسجدين) إذا اقتصرنا على المصطلح الإنساني للزمن الذي نستمده من إحساسنا بالليل والنهار وحركة الشمس والقمر . ولن يستطيع الذين يتبعون نظرية المعرفة الغربية أن يؤولوا ذلك ، مع أن فيزياء الكم (quantum physics) قد توضح جانباً من الموضوع . ولن يستطيع الذين يحبسون أنفسهم في سجن التأويل الحرفي أن يفهموا الأحاديث (عن الدجال وغيره) التي تحتاج إلى تأويل رمزي . بل لن يفتح أقفال موضوع الدجال إلا نظرية المعرفة الصوفية .

نستطيع أن نفهم حرفياً يوم الدجال الذي هو من نوع "وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ" . فذلك اليوم يتكون من ليلة يتبعها نهار ، أي من مغرب إلى مغرب . سيكون الدجال في بعدنا الزمني في الأيام التي كأيامنا عندما يصل إلى نهاية حياته في الأرض . هذا أمر واضح تماماً ! فالذي يكون في بُعْدنا الزمني يبدو أنه يجب أن يكون أيضاً في بُعْدنا المكاني . وهذا مايشير إليه

سجلّ التاريخ . لا يوجد في سجل التاريخ دليل على وجود شخص في بعدنا الزمني ولكنه ليس موجوداً في بعدنا المكاني . ولأن الدجال سيكون في بعدنا الزمني وفي بعدنا المكاني في آخر حياته في الأرض ، فإننا سنكون قادرين على رؤيته في القدس .

ولكن السؤال هو : في أي مكان من الأرض سوف يكون الدجال في زمن "يوم كسنة" ثم "يوم كشهر" وأخيراً "يوم كجمعة" ؟ والسؤال الثاني هو : ماطول الفترات الزمنية "يوم كسنة" ثم "يوم كشهر" ثم "يوم كجمعة" ؟ سيحاول هذا الفصل الهام الإجابة على هذه الأسئلة .

الغيب – العالم ما وراء المرئي

لقد أكّد دين الحق على مدى العصور على وجود عوالم لا تُرى بقوة الملاحظة (العادية) فلا تخضع للبحث العلمي ، وهي موجودة في "الغيب" أي في أبعاد مكان وزمن غير بعدنا المكاني والزمني ، وكان دين الحق يأمر المؤمنين دائماً بالإيمان بهذه العوالم الغيبية .

عندما يكون الدجال في "يوم" غير "يومنا" فلن نكون قادرين على رؤيته (مع أنه في الأرض) لأنه سيكون في بُعْد آخَر من الوجود في عالَم الغيب الذي لا نراه . وهذا ينطبق على الملائكة والجن الموجودين في الأرض ولكن لايستطيع البشر رؤيتهم . يعلن القرآن الكريم أن هناك مَلَكَيْن مع كل إنسان (على كتفيه) :

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) ﴾

(الآيات 10–12 من سورة الانفطار 82)

كما ينبئنا القرآن الكريم أن هناك شيطاناً (جنيّاً خبيثاً) يلازم كل إنسان يُعرِض عن ذكر ربه :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

(الآية 36 من سورة الزخرف 43)

ومع أننا لا نرى الملائكة والجن الموجودين حولنا ، فكل مؤمن يؤمن بوجودهم هنا في الأرض ! وهذا برهان على إيماننا بأبعاد

وجود ، أي عوالم مكانية وزمانية غير عالَمنا ، موجودة إلى جانب عالَمنا المكاني والزمني هنا في الأرض !

ولا نؤمن فقط بأبعاد تتجاوز تجربتنا العادية ، بل نملك دليلاً قاطعاً أن مَلاكاً يستطيع أن يدخل في بُعْدنا فيظهر لنا في عالمنا المكاني والزماني بحيث نراه بأعيننا . وقد أثبت ذلك المَلَك جبريل عليه السلام في عدة مناسبات، وفي مايلي إحدى هذه المناسبات :

"عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ...(ثم سأله خمسة أسئلة) ... قَالَ (عمر) ثُمَّ انْطَلَقَ (السائل) فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي (النبي) يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ."

(صحيح مسلم)

وربما كان ذلك أعجب مثال في التاريخ حيث اتخذ مَلاك صورة بشر إذ دخل في بُعْد المكان والزمن الذي يوجد فيه البشر فأصبحوا قادرين على رؤيته ولمسه .

ويمكن أن يتخذ الجِنّي أيضاً صورة البشر ويدخل في عالم المكان والزمن البشري . وأشهر حدث من هذا النوع هو ظهور إبليس (الشيطان) في صورة شيخ من العرب ليشارك في اجتماع عقدته قريش لأجل وضع خطة لحل المشكلة التي كان يسببها محمد صلى الله عليه وسلم :

"...أن قريشا لما رأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا جوارا ومنعة، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها – يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين خافوه. فاجتمعوا لذلك واتَّعَدوا (تواعدوا)، وكان ذلك

اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بت (معطف) له، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا تعدموا منه رأيا ولا نصحا. قالوا: أجَلْ فادخل، فدخل معهم ."

(رواه ابن إسحاق وعبد الرزاق والامام أحمد وابن جرير
وابن المنذر والطبراني عن ابن عباس، وعبد الرزاق
وعبد بن حميد عن قتادة، والبيهقي عن ابن إسحاق)

والآن ، هل نستطيع أن نعتمد على مصادر موثوقة لشرح وجود أبعاد زمنية غير بُعْدنا الزمني ؟ هل نستطيع أن نفسر "يوم كسنة" ؟

لما كان القرآن الكريم يعلن أنه "تيبان لكل شيء" (الآية 89 من سورة النحل 16) ، فهذا يعني أن القرآن يجب أن يشرح أقوال النبي صلى الله عليه وسلم التي تتجاوز فهم البشر العادي . وهدفنا في هذا الفصل هو اللجوء إلى القرآن الكريم في محاولة لشرح هذا الحديث الغامض عن حياة المسيح الدجال لمدة

أربعين يوماً في الأرض .

كان "الزمن" موجوداً قبل وجودنا

يخبرنا القرآن الكريم أنه كان هناك زمن لم يكن فيه الإنسان موجوداً ، وأن كل البشر خلقوا في لحظة من الزمن بفعل رحمة الله . إذاً كان الزمن موجوداً قبل وجود الإنسان . ويخبرنا القرآن الكريم أيضاً أنه سيأتي زمن يفنى فيه كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله تعالى (الآيتان 26–27 من سورة الرحمن 55) . إذاً سيبقى الزمن موجوداً حتى بعد انعدام وجود البشر . تأمل الآية التالية :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

(الآية 1 من سورة الإنسان 76)

أي لم يكن الإنسان شيئاً موجوداً فيستحق الذكر .

ثم إن القرآن الكريم يخبرنا أن الإنسان خُلِقَ في البداية ووُضِعَ في الجنة في بُعْد زمني يختلف عن الزمن البيولوجي الذي نعيش فيه الآن والذي نكبر فيه سِنّاً . وبسبب عصيانٍ لأمر الله

فقد أُقْصِيَ البشر من ذلك البُعْد الزمني ، ووُضِعوا بشكل مؤقت في البُعْد الزمني الذي نعيش فيه الآن .

وهذا يعني أنه رغم أن البشر لهم واقع يعتمد على الزمن ، فإن واقع الزمن لا يعتمد على البشر . فما هو واقع الزمن (أوحقيقته) ؟ لقد أعلن الله تعالى أنه هو الزمن :

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ."

(صحيح البخاري)

"الزمن" المقدس والعصر الحديث الكافر

إن من الخواصّ الأساسية للعصر الحديث الكافر استعمال كل الحيل الممكنة لإفساد رابطة الانسجام الطبيعية بين الزمن والحياة والتي يأمر بها الإسلام دين الحق . فهو يسعى لإفساد إحساسنا بالوقت ومقدرتنا على قياس الزمن ، ولايسمح إلا بالقياس الآلي للزمن . بل إن هذا العصر الكافر يسعى لاستبدال مفهومنا الطبيعي المقدس للزمن بمفهوم علماني للزمن

.

إن العصر الحديث الكافر الذي صنعه نصارى ويهود أوروبا قد استبدل مثلاً أسماء كل أشهر السنة الإثنا عشر (من يناير إلى ديسمبر) وأسماء كل أيام الأسبوع السبعة (من ساندي إلى ساتردي) بأسماء آلهة وثنية أوروبية مؤنثة ومذكرة . ولم يحدث هذا بالصدفة . ولكن ذلك لم يحظ بانتباه علماء الإسلام الحديثين .

ولم يعد اليوم ينتهي بمشهد حدث الغروب المثير كما هي طبيعة اليوم . بل ينتهي اليوم الآن عند منتصف الليل ويبدأ يوم جديد في تلك اللحظة من الزمن التي ليس لها أهمية ولانتيجة ولامعنى ومعظم الناس نائمون .

ولم يعد الشهر الجديد يبدأ إذ ينتهي الشهر السابق كما تمليه الطبيعة ، أي عندما تتزين السماء بعد الغروب بهلال جديد نحيل وجميل وذي بهاء فريد يملأ الدنيا بهجة . بل حدد "بابا" أوروبي طول كل شهر بشكل اعتباطي . فأُعْطِيَتْ بعض الأشهر 30 يوماً ، وحُشِيَتْ أشهر أخرى ب30 يوماً ، بينما يعاني "فبراير" من الحرج الذي لايفارقه فهو إما 28 يوماً أو 29

يوماً .

ولم يعد اليوم ينقسم إلى أجزاء لها علاقة بحركة الشمس ، كالانتقال من الفجر الكاذب إلى الفجر الحقيقي ، ومنه إلى ضوء الصباح المتلألئ ، فضوء الضحى القوي ، فزوال الشمس ، فالأصيل ، فالشفق ، ثم ضوء القمر ، ولمعان النجوم ، فظلام الليل ثم اشتداد الظلام إلخ . بل إن زمن اليوم والليلة يمر الآن بشكل آلي ، ينظمه تقسيم اعتباطي إلى 24 جزءاً متساوياً تسمى الساعات ، ثم تقسم كل ساعة إلى 60 جزءاً متساوياً تسمى الدقائق ، إلخ . لقد أُعطِيَتْ متطلبات غير حكيمة للسهولة ولفاعلية استغلال الوقت ، أسبقيةً فوق مجرى اليوم الدقيق المقدس .

كانت قدسية مجرى الزمن تعمل كنظام استراتيجي من الإشارات والرموز التي تدعو روح الإنسان إلى العالم القدسي ، وقد أعاننا الزمن القدسي على إنتاج الحكماء . ولكن علمنة الزمن وجعله آلياً قد أديا إلى انقطاع هذه الروابط بعالم المقدسات ، وانحصر معنى الزمن في وظيفته المادية في الانتفاع الدنيوي .

وكذلك لم يحدث ابتعاد المقابر عن المدن الحديثة صدفة ، بل

إن الهدف المخفي من ذلك هو حبس العقول والقلوب في سجن الحياة الدنيا ، فيدفعنا ذلك إلى نسيان الموت ، والحياة بعد الموت ، ونغفل بذلك عن أبعاد الزمن الأخرى .

ويُستَعْمَلُ التلفاز ووسائط الإعلام الأخرى للتلاعب بعرض الأخبار والأحداث بحيث يُحْبَس الناس في سجن اللحظة الطاغية . تتتابع لمحات من الصور والأخبار على الشاشة بسرعةٍ تشوّهُ وتبسط وتفسد في النهاية مقدرة العقل على التفكير والتأمل . فينتكس أكثر الناس إلى الحياة بلا تفكير ، من يوم ليوم ، ومن لحظة للحظة . ويتلاشى يوم الأمس ولا يعود يؤثر في الوعي . ويصبح الغد مجرد امتداد لأوهام اليوم .

وكانت النتيجة المتوقعة لذلك هي أن الناس فقدوا المقدرة على ربط الماضي بالحاضر ، وكذلك لم يعودوا قادرين على توقع المستقبل بحيث تتكون في أذهانهم صورة متكاملة ذات معنى . فهم لايستطيعون قراءة التاريخ وفهم حركته ، بل ليس عندهم إحساس بحركة الزمن خلال التاريخ . فهم لذلك لايرون ولا يفهمون خطة الهيمنة العالمية التي ينفذها حسب نظام غامض ومنذ قرون ، في الأرض المقدسة وفي أنحاء العالم ، تحالف

غريب بين يهود ونصارى أوروبا .

وتكاد هذه الخطة أن تصل إلى غايتها وهي سيادة دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية على العالم ، وظهور شخص يحكم العالم من القدس ويدعي أنه المسيح الحقيقي . ويكون ذلك الاحتيال الأعظم . ومن العجيب أن الحضارة الغربية الحديثة والتحالف النصراني اليهودي الاوربي قد نجحوا في إقناع الكثيرين في العالم الإسلامي بالاقتداء بهم فدخلوا معهم إلى جحر الضب المذكور في الحديث .

"الزمن" وعلامات اليوم الآخِر

إن امتلاك المرء لدين الحق لا يتحقق إلا إذا نفذت الحقيقة إلى قلبه واستقرت فيه . وطريقة قياس المرء لجريان الزمن ذات أهمية كبرى لأنها تدل على نوعية قلب الإنسان . ومن علامات الساعة المذكورة في الحديث :

"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ وَيَكُونُ

الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ ."

(سنن الترمذي)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإحساس بسرعة مرور الزمن سببه زوال **ذكر** الله تعالى عن القلب واستيلاء الانشغال بالدنيا على القلب ، فمثل هذا القلب لايريد أن يزعجه **ذكر** الله تعالى عن مشاغله الدنيوية أدنى إزعاج .

فما هو "الذكر" ؟ عندما يزور الرجل في طيات قلبه المرأة التي يحبها فإن قلبه سيرتعش مغموراً بسحر عطرها . وهذا ما يحدث للرجل العاشق كلما تذكرها هو أو سمع أحداً يذكر اسمها . هذا معنى "الذكر" .

فمن الواضح إذاً أنه لا يمكن الذكر إلا عندما يوجد حب حقيقي . فإذا زال حب الله تعالى عن القلب فعندئذ يمر الزمن بسرعة متزايدة . ونستنتج من ذلك أنه عندما يستولي الحب المخلص لله تعالى على القلب ، فلا بد أن الزمن حينئذ سيمر ببطء ، فيتمكن المؤمن من التفاعل مع مرور الزمن بشكل نافع وذي معنى .

إن أولئك التعساء الذين يعيشون في سجن العالم الذي يمر فيه الوقت بسرعة يدفعون الثمن غالياً إذ لا يستطيعون الخروج من فخ اللحظة الزائلة ، لحظة "هنا" و "الآن" . ولن يستطيعوا أن يقرؤوا أو يفهموا مجرى الزمن أو حركة الزمن عبر التاريخ . فسوف يُغَرَّرُ بهم ويظلون غافلين عن حالتهم التي يرثى لها إذ يسقطون في الهاوية .

وسوف يؤدي الفراغ الروحي في العصر الأخير إلى انهيار أخلاقي شديد جداً :

"... فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِينًا وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ."

(البخاري ومسلم عَنْ حُذَيْفَةَ)

فلا يفي الناس بوعودهم ، ولا يبقى عندهم من النظر مايكفي للتمييز بين الأمين والمحتال .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من زمان تكثر فيه

الخيانات الكبيرة :

"تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ (البساط المصنوع من أعواد القش ، أي مجموعة كبيرة من الاختبارات القاسية) عُودًا عُودًا (فتنة بعد فتنة) ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا (سقط في الفتنة فدخلت إلى قلبه) نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ (علامة) سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا (رفضها) نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ (ينقسم الناس في النهاية إلى نوعين) : عَلَى (قلب) أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا (الصخرة البيضاء) فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ، وَ (القلب) الآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا (شديد السواد يتميز عن شدة البياض المجاورة له) كَالْكُوزِ (الإبريق) مُجَخِّياً (منكوساً) لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ (أي يتبع رغباته وما يشتهيه) ."

(صحيح مسلم)

(عَنْ حُذَيْفَة يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ)

وليس هناك أي مجال للشك في أن "عصر التقدم" الذي نعيش فيه هو العصر الذي تحققت فيه علامات اليوم الآخِر المذكورة

.

هذا عصر العلمانية . الدولة علمانية ، وكذلك السياسة والاقتصاد والتعليم والسوق ووسائط الإعلام والرياضة والترفيه . وكذلك غرفة الأكل وغرفة الجلوس وحتى غرفة النوم أصبحت علمانية . تبدأ العلمانية بمنع الله من المشاركة وتصل إلى ذروتها بإنكار الله . وعلمنة العلم تؤدي إلى الاعتقاد بأن العلم يأتي من مصدر واحد فقط هو الملاحظة الخارجية والبحث العقلاني . وإذا قبلنا بنظرية المعرفة هذه فلا بد أن نستنتج أن العالم المادي هو العالم الوحيد الذي يمكن أن نعرفه بهذه الطريقة ، إذاً هذا هو العالم الوحيد الموجود فعلاً .

فالعلمانية إذاً تقودنا إلى المادية ، أي القبول عملياً بمبدأ عدم وجود واقع يتجاوز الواقع المادي ، أي ليس هناك بُعْد زمني سوى عالم الزمن الذي نعيش فيه . وقد أدت المادية بالطبع إلى الجشع والكذب والإباحية والظلم والاضطهاد والكفر والخيانات الكبرى لأن الأسس الأخلاقية للمجتمع لا يمكن المحافظة عليها بدون القلب الروحي للدين . وهذا القلب لا يمكن بناؤه ولا المحافظة عليه إلا بالإيمان بالحقائق الموجودة في عالم يتجاوز

العالم المادي ، كالله والملائكة والجنة والنار . وحتى مجرى الحياة عبر الزمن سيفقد معناه إذا لم يوجد زمن سوى "هنا" و "الآن" ولم يوجد عالم إلا هذا العالم .

تكامُل الحياة مع "الزمن"

إن إحصاء عدد السنين التي تمر أمر عظيم الأهمية ، وكيفية هذا العد تحدد هوية الإنسان : قل لي كيف تعد السنين ، أَقُلْ لك من أنت !

فهذا نَوْحُ عمر الخيام على مرور السنين :

سواءً عَيْشُ بابلَ أو نَيْسَابورا
أحلواً كان كأسُك أم مريرا
سيَقْطُر خمرُ عُمرِك منك قَطْرا
وتسقط أوراق الحياة لَدَيْكِ تَتْرى

(الرباعيات)

ولكن مرور الزمن يحدث ردة فعل مختلفة تماماً في القلب المؤمن بالله تعالى ، في حياة متكاملة إيجابياً مع حركة الزمن . وهذا يعطي المرأة المؤمنة مثلاً وسيلة للتفاعل الإيجابي مع

مرور أعوام عمرها .

لا بد أن يوافقنا من اكتمل عنده الإحساس بالجمال أنه لا شيء أجمل من رؤية هلال يعانق نجماً في سماء الغروب ، فقدوم الشهر القمري الجديد يرمز إلى حركة جوهر الحياة .

وكذلك عندما وُلِدَتْ طفلة ، فكأنما بزغ الهلال وخُلِق عالَم جديد . وأحبها الجميع وحملوها في أذرعة حنونة ، ثم حَبَتْ ومشَتْ ولعبت وضحكت وغنّت ورقصت . ومرت بربيع طفولتها وشبابها بلا هموم ، آية للناظرين .

ثم احمرّ وجهها خجلاً إذ أقبل صيف حياتها وأزدهرت كامرأة أجمل من قطرة المطر على وردة في قوس قزح ، وترددت "سبحان الله" على شفاه المعجبين بحسنها ، وغنّى لها المُغَنّون وأنشد لها الشعراء ، وكان هذا أيضاً آية للناظرين .

ثم أدركها الخريف فبدأت أوراق حياتها الخضراء تحمرّ ، وظهرت التجاعيد حول عينيها ، و شابت خصلات من شعرها .

وأخيراً جاء الشتاء ، وعاد القمر كالعرجون القديم (الآية 39 من

سورة يس 36) ، واستعدت لطيّ خيمتها بأناقة ، لتقول "وداعاً" ، وتختفي في ظلمة الليل .

ولكنها كانت شكورة لله تعالى طوال رحلة حياتها عبر الزمن ، فشكرته على فصل الربيع وكذلك على الصيف والخريف والشتاء ، ولم تحزن عندما جاء الخريف والشتاء . وكانت تعتز بالشيب الذي خالط لون شعرها الطبيعي . ولم يكن عند الدنيا كلها ما يغريها أن تتمنى عودة الربيع أو الصيف ، لأنها أحبت خريفها وشتاءها كما أحبت ربيعها وصيفها . لقد بلغت سن الكِبَر بأسلوب جميل .

وكلما زاد سِنُّها ازداد إشعاع جمالها ، فكان تعبيراً خارجياً عن جمال داخلي . وعندما حان وقت مجيء ملك الموت ليتوفاها ، عندما حان وقت اختفاء الهلال في ظلمة السماء ، وآن أوان إحاطة ظلام الليل بالعالم ، لم يكن عندها أي ندم على مغادرة العالم الوحيد الذي عرفته . إنها كانت ترغب في ترك الدنيا وقلبها شاكر لله تعالى لأنه قال "لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ" (الآية 7 من سورة إبراهيم 14) . لم تتأوهْ ، ولم تَنُحْ كما ناح سلطان الهند بهادر شاه ظفر :

بحثتُ في أدراج خازن الأعمار
وجدتُ عمري أربعاً أيام
مضى منها يومان في التمني
والآخران انقضيا في الانتظار

بل إن المرأة المؤمنة كانت دائماً مستعدة لمتابعة السفر في الزمن إلى عوالم جديدة من الزمن . لم تعاند أبداً مرور الزمن ، فكانت دائماً محترمة لله تعالى ، لأن الله هو الدهر . فكل من يعيش بانسجام مع الزمن فإنه يعيش بانسجام مع ربه وخالِقِه . وكل من يستطيع أن يخترق جدار الزمن إلى ما وراء "هنا والآن" فإنه يستطيع أن يقرأ ويفهم آيات الله وعلامات اليوم الآخِر إذ تحدث حسب نظام معين في حركة التاريخ .

إن البُعْد الذي نقيس فيه مرور الزمن بالأيام والليالي وفصول الطبيعة قد أعطاه الله لنا لكي نقيس مجرى إقامتنا الفردية والجماعية في الأرض . إنه فتنة واختبار ، ولا يمثل كلَّ الزمن . بل هو الأساس لنمونا والتوصل إلى الأبعاد الزمنية الأخرى الموصوفة في القرآن . وعندما ننمو زمنياً ، أي عندما ينمو إدراكنا للزمن وتنمو مقدرتنا على فهم الزمن إذ يجري حسب

نظام معين في حياتنا وفي العالم الخارجي ، فسوف تتحسن في نفس الوقت مقدرتنا على فهم العصر الأخير إذ تجري أحداثه أمام أعيننا حسب نظام معين في المرحلة الأخيرة من التاريخ . وهذا أهم شيء نقوله في هذا الفصل .

"الزمن" في القرآن

يُدَرِّسُنا الله العليم الحكيم موضوع الزمن بواسطة حبات من اللؤلؤ منثورة في أنحاء القرآن الكريم وفي حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه الشريف ، وعلى طالب العلم أن يجمع حبات اللؤلؤ وينظمها في عِقد (قلادة) .

وقد وصف أستاذي القدير مولانا الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري رحمه الله وطيب ذكره هذا العِقد بأنه "نظام المعنى" للموضوع . وقد بذلنا جهداً متواضعاً في هذا الجزء الهام من الفصل لإيجاد بعض حبات لؤلؤ الزمن هذه في القرآن الكريم وحاولنا نظمها في عِقد .

كان العرب يعتبرون الدهر (الزمن) الواقع النهائي ، ويعتقدون أن كل شيء يفنى إلا الدهر ، فالدهر هو الذي يقضي على

الأشخاص والأشياء :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ ﴾

(الآية 24 من سورة الجاثية 45)

أما الحضارة الغربية الحديثة الكافرة التي لا تعترف بواقع غير الواقع المادي فقد أعلنت أن "الزمن مال" . فالزمن قد أصبح سلعة تباع وتشرى ، ولذلك تعتبر مثلاً أقساط الفائدة (الربا) التي يدفعها مقترض المال لرب المال قيمةً للزمن الذي يمر على المال المقترض .

وقد أجاب الله تعالى على ادعاء العرب بشأن الدهر في حديث قدسي بقوله إنه هو الدهر :

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ."

(صحيح البخاري)

وعندما يعلن الله تعالى أنه هو الدهر فهذا يعني أنه يوجد **زمن مطلق** أي زمن قائم بذاته ولا يعتمد على شيء غيره . وعندما يقول "بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" فهذا يعني أن الزمن كما نعرفه ، أي الزمن المبني على تناوب الليل والنهار هو زمن **نسبي** ، أي منسوب إلى زمن الله المطلق . إن الزمن الذي نعرفه والذي نقيسه بأن نعُدَّ الأيام والليالي والأسابيع والأشهر والسنين إلخ يمكن وصفه بأنه **زمن تسلسلي** .

يبين لنا القرآن الكريم أن الزمن التسلسلي هو مجرد بداية الزمن ، وأن الله أعطاه لنا لمقاصد منفعية ، أي لأجل أن يكون عند الناس وسيلة لعدِّ مرور السنين وقياس الزمن في عالمهم الدنيوي الزائل . إن الزمن التسلسلي واقعي ولا ينبغي اعتباره وهمياً أو خيالياً :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

(الآية 5 من سورة يونس 10)

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾

(الآية 12 من سورة الإسراء 17)

ثم يخبرنا القرآن الكريم بأن بين الزمن التسلسلي والزمن المطلق سبعة عوالم زمنية يصفها بعبارة "سبع سماوات" (ومن الخطأ أن نفهم من ذلك أنها سبع سماوات تشبه السماء الدنيا بالمعنى العادي) :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(الآية 29 من سورة البقرة 2)

أي خلق كل شيء في الأرض لأجلكم ، واشتملت خطة الخلق أن تكون السماء مكونة من سبعة طبقات كونية تخضع لنظام خاص وكمال مطلق ، وهو على اطلاع كامل بكل تفاصيل الأشياء .

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

(الآية 44 من سورة الإسراء 17)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾

(الآية 17 من سورة المؤمنون 23)

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

(الآية 86 من سورة المؤمنون 23)

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

(الآية 12 من سورة فُصِّلت 41)

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

(الآية 12 من سورة الطلاق 65)

إذاً بالإضافة إلى الطبقات الكونية السبعة للسماء هناك سبعة أرضين مثلها ، أي سبعة طبقات كونية للأرض . وإن أمر الله يتنزل نافذاً في وسط هذه الطبقات السبع الكونية للأرض والسماء كلها . وبذلك تعلمون أن الله يتحكم بكل شيء ويحيط علمه بكل شيء .

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾

(الآية 3 من سورة الملك 67)

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾

(الآية 15 من سورة نوح 71)

يتبين من الآيتين السابقتين أن هذه الطبقات الكونية السبعة للأرض والسماء متطابقة فوق بعضها البعض ، أي في نفس المكان . ومع ذلك ، لا نرى أي خلل أو تفاوت في التركيب أو عدم تناسق ، مهما دققنا النظر .

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) ﴾

(الآيتان 12–13 من سورة النبأ 78)

تعتبر هذه الأجسام السبعة الشديدة عادة سبع "سماوات" بالمعنى الدارج للسماء ، ولكنها ليست كذلك ، بل هي سبعة عوالم مكانية وزمنية مختلفة تقع بين الأرض وبين الله تعالى على عرشه . وقد ذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث التالي :

"عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ قَالُوا السَّحَابَ قَالَ وَالْمُزْنَ قَالُوا وَالْمُزْنَ قَالَ وَالْعَنَانَ قَالُوا وَالْعَنَانَ قَالَ أَبُو دَاوُد لَمْ أُتْقِنْ الْعَنَانَ جَيِّدًا قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ قَالُوا لا نَدْرِي قَالَ إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ

ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمْ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ ." (سنن أبي داود)

ويبدو أن هناك عالماً في كل سماء من هذه السماوات السبع يختلف عن العوالم الأخرى . وتصف فاتحة القرآن الكريم الله تعالى في بدايتها بأنه "رب العالمين" أي رب هذه العوالم السبعة :

﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(الآية 2 من سورة الفاتحة 1)

فكما أن الله تعالى هو رب الناس في هذا العالم فهو أيضاً رب الذين يوجدون في العالمين (العوالم) الأخرى والذين ينبغي أن يعبدوا الله أيضاً :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

(الآية 44 من سورة الإسراء 17)

والواقع أن القرآن الكريم يحدد هذه العوالم السبعة كأبعاد مختلفة للمكان و**الزمن** ، فيَذْكُر مثلاً عالَماً له بُعْدٌ زمني بحيث يكون فيه :

- "اليوم" الواحد كخمسين ألف سنة

﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(الآية 4 من سورة المعارج 70)

ويذكر عالَماً ثانياً له بُعْدٌ زمني بحيث يكون فيه :

- "اليوم" الواحد كألف سنة

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

(الآية 47 من سورة الحج 22)

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

(الآية 5 من سورة السجدة 32)

- "اليوم" الواحد كثلاث مائة سنة

وقد بينت سورة الكهف أهمية الزمن بالنسبة إلى موضوع الدجال بشكل واضح عندما أخبرنا الله تعالى أنه جعل الفتية يمكثون في الكهف لسنوات عديدة . ثم أوقظهم ليرى أيهم سيكون قادراً على تقدير الفترة الزمنية التي مكثوها في الكهف بدقة . لقد ناموا في الواقع ثلاث مائة سنة ولكنهم أحسوا بأنهم مكثوا يوماً واحداً أو جزءاً من يوم واحد :

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) ﴾

(الآيتان 11 و12 من سورة الكهف 18)

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ... ﴾

(الآية 19 من سورة الكهف 18)

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾

(الآية 25 من سورة الكهف 18)

لقد أجاب بعض الفتية بأنهم مكثوا في الكهف يوماً واحداً أو جزءاً من يوم واحد . ولكن البعض الآخر استطاعوا أن يدركوا روحياً أن مدة مرور الزمن في الكهف ربما تكون قد تجاوزت ما اقترحه أصحابهم . بل إن بعض الناس اقترحوا أن الفتية ناموا في الكهف لفترة زمنية مقدارها ثلاث مائة سنة شمسية (تعادل 309 سنة قمرية) .

- "اليوم" الواحد كمائة سنة

يصف القرآن الكريم حَدَثاً عجيباً حيث مر رجل بمدينة منهارة (أي القدس) وتساءل شاكّاً كيف يمكن لله تعالى أن يحيي هذه المدينة ، فأماته الله تعالى لمدة مائة سنة ، ضارباً بذلك مثلاُ للناس ، ثم أحياه الله وسأله كم مكث هناك ، فأجاب "يوماً أو بعض يوم" :

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ

ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الآية 259 من سورة البقرة 2)

ويبدو أن الأبعاد السبعة للمكان والزمن موجودة بجانب بعضها البعض بدلاً عن أن تبدأ الثانية حيث تنتهي الأولى :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾

(الآية 3 من سورة الملك 67)

وإن الآية 259 من سورة البقرة المذكورة أعلاه لتصف لنا تجاور بعدين زمنيين مختلفين هنا في الأرض في قصة المسافر الذي مر بالقدس بعدما دمّرها البابليون ولم يكن يتصور أن تعود المدينة الميتة إلى الحياة أبداً .

لقد أمات الله هذا المسافر (والنوم شكل من أشكال الموت) لمدة

مائة عام ثم أعاده إلى وعيه ، وكما حدث مع الفتية ، فإن المسافر أحس بأنه مكث يوماً أو بعض يوم . ولكن القرآن الكريم يصف لنا بشكل حيوي بعديْن زمنييْن مختلفيْن ولكنهما متجاوران هنا في الأرض ، إذ يصف القرآن ماحدث للحمار في أحد البعديْن الزمنييْن ، وماحدث للطعام في البعد الزمني الآخر . بينما مات الحمار جوعاً في بُعْدِنا الزمني وتفسخ بدنه حتى تفتتت عظامه وأصبحت رميماً ، فقد حُفِظَ الطعام في بعدٍ زمني آخر وبقي طازجاً رغم مُضِيّ مائة عام . والعبرة من هذه القصة هي أن البعديْن الزمنييْن موجودان هنا في الأرض إلى جانب بعضهما البعض !

ونشهد الظاهرة نفسها في الفصل التالي من هذا الكتاب في قصة الفتية الذين أنامهم الله تعالى في الكهف فناموا لمدة ثلاث مائة سنة . وتحليلنا للقصة يشير إلى أن أبدانهم كانت موجودة في بعدين زمنيين في نفس الوقت أثناء نومهم الطويل في الكهف . في البعد الزمني الأول كانت أبدانهم تتقلب يميناً وشمالاً متزامنة مع حركة الشمس ، أي صباحاً ومساءً . أما في البعد الزمني الثاني فإن أبدانهم لم تظهر عليها آثار النمو

البيولوجي أو الشيخوخة رغم مرور ثلاث مائة سنة .

إن الأبعاد الزمنية والمكانية المختلفة يمكن أن تكون "طباقاً" أي مع بعضها البعض أو إلى جانب بعضها البعض .

ونستطيع الآن أن نفهم كيف أن الملائكة الكاتبة الخافية عن أنظارنا والموجودة في بُعْد مكاني وزمني يختلف عن بُعدنا يمكن أن تكون حاضرة على الدوام على أكتافنا طوال حياتنا في الأرض . ونستطيع أن نفهم أيضاً كيف يستطيع الجن الخافين عن أنظارنا أن يكونوا حاضرين حولنا في كل مكان على الدوام . إنهم حاضرون حولنا بينما هم غير حاضرين في نفس البُعْد المكاني الزماني الذي نوجد فيه ، ولذلك لانراهم . تأمل الآية التالية:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾

(الآية 27 من سورة الأعراف 7)

أي أن الشيطان وقبيلته يراقبوننا من داخل بُعْد مكاني زمني لا تصل إليه قوة ملاحظتنا ، فهم يراقبوننا من داخل عالم خافٍ عن أنظارنا .

وهناك درس إضافي نتعلمه من قصة الحمار والطعام ، يتجاوز إدراكنا إمكانية وجود عالميْن زمنييْن متجاوريْن هنا في الأرض . فمع أن الطعام كان لايزال موجوداً في هذا العالم الزمني ، فإنه كان محفوظاً في عالم زمني ثانٍ حيث بقي طازجاً رغم مضي مائة سنة . أو بعبارة أخرى ، لقد كان يحدث عبور أو سفر مستمر بين العالمين الزمنيين أثناء هذه الحادثة .

وقد حدث نفس الأمر في حالة الفتية في الكهف كما تصف ذلك سورة الكهف . لقد بقيت أبدانهم فيزيائياً لمدة ثلاث مائة سنة في الكهف في هذا العالم الزمني بينما كانت أيضاً محفوظة في عالم زمني ثان ولم تكبر سِنّاً ولم تبلغ أبداً سن الشيخوخة . وقد حدث نفس العبور أو السفر عبر عوالم زمنية مختلفة في إسراء ومعراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن بما أن النبي صلى الله عليه وسلم لزم أن ينقله البراق إلى الأرض المقدسة لكي يتابع نقله عبر السماوات ، فيبدو الآن

واضحاً أن ظاهرة السفر بين عوالم زمنية أخرى وهذا العالم ربما لا تكون ممكنة إلا في الأرض المقدسة . ولذلك فإن المدينة المنهارة يجب أن تكون هي القدس ، فالحادثة المعجزة التي حدثت للحمار والطعام كانت في الأرض المقدسة . والكهف في سورة الكهف لا بد أن يكون في مكان في الأرض المقدسة أو حولها . ورُفِع عيسى بن مريم عليهما السلام إلى السماوات من الأرض المقدسة ، وعندما يعود من السماوات فإنه لابد أن ينزل إلى القدس أو قريباً منها .

الدكتور الأنصاري والزمن التطوري

لقد فسّر أستاذنا مولانا الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري طيب الله ذكره (1914–1974) هدْيَ القرآن الكريم بنفس طريقة مولانا جلال الدين الرومي تقريباً ، فبين أنه بينما يبدأ كل خَلْق بأمر "كُنْ" ، فإن كل المخلوقات تتطور بعد ذلك على مراحل (أطوار) مختلفة في عوالم مختلفة . فوصف عالم النور حيث نشأت الكائنات النورانية (أي الملائكة) ، وعالم النار حيث نشأ الجن ، وأخيراً عالم الطين حيث نشأ البشر . وبناء على ذلك فإنه وصل إلى الاعتقاد بأن "الزمن" ، مثل كل شيء غيره من

خلق الله ، تطوّرَ حتى ظهر في صورته النهائية التي ندركها الآن .

ويقترح هذا الفصل أن تطور الزمن حدث في عبوره أو حركته خلال سماوات زمنية أو عوالم زمنية مختلفة . وعندما نفهم هذه العملية ونقبلها فإننا سنستطيع تأويل الحديث الهام عن مدة بقاء الدجال في الأرض . وفيما يلي وصف لعلم الكون القرآني الذي اقترحه مولانا والذي يتطور فيه الزمن . وهو مقتبس من تحفته "الأسس والبنية القرآنية للمجتمع الإسلامي" المكون من مجلديْن :

"إن علاقة الله تعالى بالكون كخالق تظهر في القرآن على مستوييْن : مستوى **الأمر** ومستوى **الخلق** ، وكلاهما مبني على صفة الله تعالى المتعلقة بالرعاية والإطعام والتطوير والإتمام ، أي صفة الرب أو الربوبية ، وهي تجمع بين الأمر والخلق :

﴿... أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
(الآية 54 من سورة الأعراف 7)

إذاً بدأ الخلق بأمر الله :

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن

فَيَكُونُ ﴾

(الآية 117 من سورة البقرة 2)

أي إن خالق السماوات والأرض من عدم كلما قرر شيئاً فإنه يقول لهذا الشيء فقط "كُنْ" فيصير هذا الشيء حقيقة [فعل "كان يكون" في لغة القرآن كثيراً ما يأتي بمعنى "صار يصير"] . وعلى ذلك فإن خلق الكون كان أيضاً نتيجة أمر الله تعالى : كُنْ !

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(الآية 82 من سورة يس 36)

أي أن أمر الله أي قانون إخراج الأشياء إلى حيز الوجود هو أن الله عندما ينوي شيئاً فهو يقول له فقط على سبيل الأمر "كُنْ" فيصير هذا الشيء حقيقة .

إذاً أول مرحلة (أو طَوْر) من مراحل (أطوار) خلق الكون بنبغي أن يشار إليها بمصطلح "صار يصير" أو "صيرورة" . ونستطيع أن نسمي ذلك أيضاً الوجود اللطيف أو غير الملموس (بعكس المادة الملموسة) أو الوجود بلا مكان ولا زمن .

وإذا نظرنا إلى عملية الخلق من حيث مبدأ التطور المطروح صراحة في القرآن الكريم ، فإننا نتوصل إلى نظرية الخلق التطوري التي تشبه فرضية التطور في العلم الحديث والتي تفترض وجود "ذرة في بداية

الزمن" أو نقطة بداية لعبت دور نواة نما منها الكون بأكمله من خلال عملية تطورية ، وهذا المبدأ مذكور أيضاً في الحديث أدناه الذي يطرح فكرة أول نور مخلوق يلعب دور النواة .

إن للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مكانة فريدة بين مخلوقات الله يثبتها كذلك الحديث المروي عن الصحابي جابر رضي الله عنه والذي صححه علماء مشهورون منهم مفسر القرآن الكريم العلامة الألوسي مثلاً في التفسير المسمى "روح المعاني" :

"عن جابر بن عبد الله قال : قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟ قال : يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ..."

(ذكر العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني في الأنوار المحمدية من مواهب اللدنية أن المحدث الشهير عبد الرزاق [سلف الإمام البخاري] روى الحديث في المصنف) .

ويقول الحديث فيما بعد إن الله خلق الكون بأكمله من ذلك النور الأصلي الذي سماه علماء الإسلام "نور محمد" .

ويمكن فهم عملية الخلق التطوري على أنها تُقَلِّلُ بالتدريج من لطافة المخلوقات ونعومتها وكونها غير ملموسة وجودتها ، وتزيد بالتدريج في كون المخلوقات واقعية ومتبلورة وملموسة وتزيد من كميتها ، وذلك لأن

التبلور يزداد أثناء عملية الخلق ، وهذا يعني خلق أشياء جديدة من من مواد موجودة . أي أن الخلق هو ابتداء عملية يزداد فيها عمق التعبير باستمرار . وهذا ما نفهمه من القرآن الكريم وكذلك من العلم الحديث .

ويبدو فعلاً من القرآن الكريم أن أشياء مختلفة خرجت إلى حيز الوجود خروجاً حركيا في أطوار مختلفة من العملية التطورية . فقد كان الملائكة والجن والبشر موجودين في بُعْد الوجود ماقبل الفيزيائي أو ما وراء المحسوس . وكان الملائكة والجن موجودين في هذا البُعْد قبل البشر كما يشهد بذلك القرآن الكريم (الآيات 30–34 من سورة البقرة 2) . ثم نقرأ في الكتاب الكريم بعبارة واضحة أن البشرية كلها أحضرت لتمثل أمام الله تعالى في بُعْد وجودها ما وراء المحسوس قبل خلق الأرض وتعلن إقرارها بميثاق توحيد الله (الآية 172 من سورة الأعراف 7) ، وهذا يعني أن البشر كانوا موجودين في ذلك الطور من خلق الكون . ويُذكر بشكل مماثل أن ميثاق الأنبياء حدث في نفس الطور من خلق الكون (الآية 81 من سورة آل عمران 3) ، وهذا يثبت وجود الأنبياء في ذلك الطور .

ويعني كل ذلك أن عالم الكائنات والأشياء المخلوقة استقرت طبيعته الاساسية أو المثلى بالتدريج ، حتى في أول طور من الخلق . وكان على التطور أن يستمر ، وقد استمر فعلاً ، حسب خطة الله تعالى ، ولكن الله حدد مقداراً أو سرعة لتطور الأشياء كلها :

﴿... قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

(الآية 3 من سورة الطلاق 65)

أي حدد الله تعالى مقداراً أو سرعة لتطور ونضوج كل شيء .

وعلى ذلك فإن أشياء معينة كانت قد خرجت من الكمون إلى الواقعية تحتم عليها أن تبقى في الحالة التي وصلت إليها (كالملائكة مثلاً) بينما استمرت أشياء أخرى في رحلة التطور حتى ظهرت في نظام الوجود المكاني الزمني (كالبشر مثلاً) .

(الأسس والبنية القرآنية للمجتمع الإسلامي ، مجلد 2 ، صفحة 16–17)

يصف علم الكون المشروح أعلاه عملية الخلق التطوري . وهذا يثبت تطور الزمن عبر أبعاد زمنية مختلفة . والنتيجة المنطقية هي أن كل المخلوقات تطورت عبر أبعاد زمنية مختلفة قبل أن تظهر في البعد المكاني الزمني الذي نحيا ونموت فيه . ويقرر القرآن الكريم وجود سبع سماوات بجانب بعضها البعض ، وهذا يعني وجود سبعة أبعاد زمنية مختلفة في نفس الوقت ، كلها يمكن الوصول إليها ، وكلها قادرة على أن تؤثر على الحياة في الأرض :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ﴾

(الآية 3 من سورة الملك 67)

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾
(الآية 15 من سورة نوح 71)

فوجود هذه السماوات أو العوالم السبع يدل على وجود سبعة أبعاد مكانية زمنية مختلفة ، وتعني لفظة "طباقاً" في الآيتين السابقتين أن هذه الطبقات الكونية السبعة متطابقة فوق بعضها البعض ، الواحدة وراء الأخرى ، مندمجة مع بعضها بشكل كامل بلا تفاوت .

وبشكل مماثل يقرر القرآن الكريم أن البشرية مرت عبر نفس العملية التطورية خلال أبعاد مكانية زمنية مختلفة حتى خرجنا إلى حيز الوجود في هذه الدنيا :

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (19) ﴾
(الآيات 16–19 من سورة الانشقاق 84)

أي سوف تنتقلون من طبقة إلى طبقة أي من بُعد مكاني زمني إلى البُعد المكاني الزمني الذي يليه ، ثم إلى البُعد الذي يليه

إلخ في طبقات الخلق السبعة .

وكل إنسان يعيش ظاهرة الحلم الصادق الذي يراه في المنام والذي يتحقق فيما بعد ، وهذا يعتبر أحياناً من نوع أحلام الأنبياء . وفي هذه الظاهرة يعيش الإنسان عبور الحدث المخلوق أو تطوره عبر هذه العوالم المختلفة . إن الأحلام الصادقة (التي تتحقق) تقدم دليلاً مباشراً على وجود عالم يتجاوز المحسوسات . وقد قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم إنه لا يبقى من أجزاء النبوة من بعده إلا الأحلام والرُؤيا الصادقة أي التي تتحقق (وهذا يشمل الفراسة أو البصيرة الروحية) . ولكن هذه النعم تلعب دوراً إضافياً ، فعندما يدخل الإيمان بالله تعالى إلى القلب ، فسوف يخرج الخوف والحزن من القلب ، ويحل محلهما الرجاء (الأمل) ، أي رجاء الخير في الدنيا والآخرة . وعندما يرى المؤمن باستمرار أحلاماً تتحقق ، فإن الرجاء يتحول إلى سرور لأن تحقق الأحلام الصادقة يمثِّل برهاناً على تحقق الرجاء :

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ (أي نهاية العالم) لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا

الْمُؤْمِنِ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لا يَكْذِبُ ."

(صحيح البخاري)

ولا سبيل إلى تفسير ظاهرة الحلم الصادق (الذي يتحقق ويسمى الرؤيا التنبئية) إلا بأن تكون الأحداث موجودة قبل حدوثها . وبعبارة أخرى فإن عملية خلق حَدَث معين تبدأ بأمر الله "كُنْ" ، ثم تنتقل عملية الخلق خلال أبعاد مكانية زمنية مختلفة حتى تبلغ غايتها بحدوث الحَدَث فعلاً في هذا العالم المكاني الزمني . وإذا اعتُرِضَ الحَدَث في طريقه أثناء عملية الخلق وقبل حدوثه في هذا العالم ، وبَلَغَنا خَبَرٌ عن الحدث بشكل حلم (رؤيا) ، فإننا نعيش ظاهرة الحلم الذي يتحقق أو الرؤيا التنبئية .

إذاً لا يمكن أن نفسر الأحلام الصادقة (المتحققة) إلا إذا قبلنا بوجود أبعاد أو عوالم مكانية زمنية وراء نطاق هذا العالم الذي نحس بالأشياء فيه ونعيشها بشكل مباشر . هناك واقع روحي غير محسوس توجد فيه أشياء روحية . وما يحدث في كل الأحداث (وما يحدث لكل الموجودات) هو أن الشيء الروحي

يخرج إلى حيز الوجود في شكل مادي . و قد ركَّب الله تعالى كلَّ شكل مادي في صورة تقوم بوظيفة رمز أو آية (أي علامة) من شأنها أن تدلنا على الشيء الروحي الكامن وراءها وتَكْشِفَه لنا .

وعلى ذلك فإن الحدث الذي يُرى في الحلم الذي يتنبأ بما سيتحقق فعلاً هو حدث قد خلقه الله تعالى ، وهو يوجد في البداية في بُعْد الأشياء الروحية فقط ، ثم يخرج هذا الحدث إلى حيز الوجود في شكل مادي ، وعندئذ يصبح الحلم حقيقة واقعة .

ومن الواضح أننا لا ينبغي أن نتصور أن السماء أو الطبقة الثانية موجودة فيزيائياً عند النقطة التي تنتهي فيها السماء أو الطبقة الأولى ، لأن ذلك يعني أن الطبقة الثانية موجودة في نفس البعد المكاني للطبقة الأولى . بل الأنسب أن نتصور أن كل الطبقات بأبعادها المكانية الزمنية متداخلة مع بعضها البعض أو مندمجة ببعضها البعض ، بدلاً عن كون السماوات أو الطبقات متجاورة فراغياً بشكل شاقولي . فلا يحتاج المرء أن يسافر في سفينة فضاء لمسافة سنين ضوئية لكي يصل إلى

نهاية بُعد مكاني زمني ويدخل في البُعد التالي . *بل يستطيع المرء أن ينتقل في لحظة عابرة بخطوة واحدة من بعد زمني إلى بعد زمني آخر* . ولن نحتاج إلى التحرك في مكاننا أو زمننا للقيام بهذه الخطوة . وهذا يفسر معجزتي الإسراء والمعراج حيث سافر النبي صلى الله عليه وسلم في لحظة عابرة من مكة المكرمة إلى القدس الشريف ثم عرج عبر العوالم السبعة الروحية للمكان والزمان قبل أن يعود إلى مكة . ويمكن أن يفسر هذا أيضاً رفع عيسى عليه السلام إلى السماوات وعودته في النهاية إلى هذا البعد المكاني الزمني عندما ينتهي الدجال من مهمته . وعندما يعود عيسى عليه السلام إلى بعدنا الزمني بعد غيابه عنه أكثر من 2000 سنة ، فلن يكون قد كبر في السن ولا بمقدار يوم واحد !

سورة الفاتحة وعوالم الزمن المختلفة

أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن الكريم ، وأنه لم يكن في الكتب السماوية السابقة ما يكافئها ، وأنها شفاء لكل داء . لنقرأ الأحاديث التالية :

"عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي فَقَالَ أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

ثُمَّ قَالَ لِي لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ ."

(صحيح البخاري)

"عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاّ الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاّ الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاّ أُعْطِيتَهُ ."

(صحيح مسلم)

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي الْفُرْقَانِ (أي في سائر القرآن) مِثْلُهَا (أي الفاتحة) ..."

(سنن الترمذي)

"عن عبد الملك بن عمير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء ."

(الترمذي والدارمي والبيهقي)

"عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيِّ عَنْ عَمِّهِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ أَهْلُهُ إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَبَرَأَ فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا قُلْتُ لا قَالَ خُذْهَا فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ ."

(سنن أبي داود)

"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ وَمَا

يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ ".

(صحيح البخاري)

ونرى ، والله أعلم ، أن ما ذكرناه أعلاه يشيرإلى أن آيات سورة الفاتحة السبع تملك المقدرة على نقل عبد الله المخلص روحياً أثناء صلاته عبر الأبعاد المكانية الزمنية السبعة ، ثم تسليمه روحياً إلى جوار الله تعالى الخاص في عالم لا زمن فيه . وتُشَكِّل هذه الظاهرة معراج المؤمن .

وبعبارة أخرى ، تبدأ رحلة المؤمن الروحية (معراج المؤمن) في أول الصلاة بقراءة سورة الفاتحة . وكل آية من آيات الفاتحة السبع تستطيع أن تنقل العابد عبر إحدى السماوات السبع ، أو الأبعاد المكانية الزمنية السبع ، بحيث يصل روحياً إلى عند العرش عند قوله "آمين" . ويكون عندئذ حاضراً عند ذات الله تعالى حيث يتم بقية الركعة .

وربما يفسر ذلك لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائماً يقرأ كل آية من آيات الفاتحة السبع على حدة ولم يَصِلْ أبداً

بين آيتين . وهذا يجبر المنكِرين على الاعتراف بأن البسملة هي الآية الأولى من سورة الفاتحة ، وبأنها يجب أن تتلى بصوت مرتفع في الصلاة مع آياتها الستة الأخرى .

ويمكننا الآن أن نختتم بتقرير أبعاد أو عوالم الزمن التالية:

1. يوم كخمسين ألف سنة
2. يوم كألف سنة
3. يوم كثلاث مائة سنة
4. يوم كمائة سنة
5. يوم كسنة
6. يوم كشهر
7. يوم كجمعة (أسبوع)

وأخيراً نستطيع الآن أن نحلل الحديث الغامض عن الدجال ومكوثه في الأرض لمدة "أربعين" يوماً .

تطور خروج الدجال في أبعاد الزمن

لن يستطيع أحد أن يفهم موضوع المسيح الدجال حتى يفقه موضوع الزمن . وذلك لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن موضوع الزمن هو من صميم مهمة الدجال :

"... قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ..."

(صحيح مسلم ، عن النواس بن سمعان)

ويتضح لنا الآن أن الدجال يمر خلال ثلاثة أبعاد مكانية زمنية مختلفة قبل أن يظهر في شكل فيزيائي في عالمنا بحيث نستطيع أن نراه فعلاً . وقد بينا في كتابنا "القدس في القرآن" مكان وجود الدجال في هذه الفترات الثلاث من حياته ، وذلك قبل زمن ظهوره في القدس .

ولكن هناك ثلاثة أسئلة إضافية :

- ما هو طول فترة "يوم كسنة" ؟
- ما هو طول فترة "يوم كشهر" ؟
- ماهو طول فترة "يوم كجمعة" ؟

لا نستطيع أن نجد صيغة رياضية دقيقة لحساب طول "يوم كسنة" لأن الأبعاد المكانية الزمنية التي تختلف عن بُعدنا الذي نعيش فيه لا يمكن ملاحظتها بشكل عادي . ولا نستطيع أن نقيس طول "يوم كشهر" أو "يوم كجمعة" بقوة الملاحظة والجهد العقلاني . ولكننا نستطيع أن نتيقن من أن الفترات الزمنية التي يعبر فيها الدجال ثلاثة أبعاد زمنية مختلفة (يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة) هي بحيث تكون الفترة الأولى أطولها ، والفترة الثانية أقصر من الأولى ، والفترة الثالثة هي الأقصر . ولايمكن تحديد أو ملاحظة عبوره من البعد الزمني الأول إلى الثاني ثم الثالث قبل خروجه إلى عالمنا إلا عن طريق "آثار أقدامه" ، ونعني بذلك أنه يتعين علينا أن نراقب بدقة ظهور الأحداث في مجرى التاريخ ثم نستعمل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بدقة لكي نتعرف على حركاته من "يوم" لـ"يوم" بل نستطيع بذلك أن نتوقع هذه الحركات .

وقد استنتجنا بهذه الطريقة أننا الآن في تلك الفترة من حياة الدجال في الأرض وفي تلك اللحظة من التاريخ التي يكاد ينتهي فيها اليوم كالشهر ويكاد يبدأ اليوم كالجمعة .

عندما كان الدجال موجوداً في "يوم كسنة" ، تبين لنا أن مركز قيادته كان في بريطانيا ، وأصبحت بريطانيا الدولة الحاكمة للعالم . وعندما انتقل الدجال إلى حيث يكون اليوم كالشهر ، تبين لنا أن أمريكا أصبحت مركز قيادته ، ومن ثم حلت أمريكا محل بريطانيا كدولة حاكمة للعالم . وإذا رأينا الآن أن دولة ثالثة تحل محل أمريكا في حكم العالم ، فسوف نستطيع أن ندرك أن فترة اليوم كالشهر قد انتهت وأن فترة اليوم كالجمعة قد ابتدأت .

ويعتقد المؤلف إذ يخط هذا الكتاب أن دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية تستعد الآن لشن حرب هدفها الاستيلاء المباشر على احتياطات النفط الهائلة الموجودة في نهر الفرات وما حوله (أي إيران والعراق والمملكة العربية السعودية والكويت ودول الخليج إلخ) وبالطبع فإن بريطانيا وأمريكا سوف تدعمان إسرائيل في هذا الاعتداء .

وقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الحروب (أي حروب بريطانيا وأمريكا ضد العراق للاستيلاء على نفط العراق والحرب التي توشك إسرائيل أن تشنها) :

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا ، وعَنْ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ إِلاّ أَنَّهُ قَالَ يَحْسِرُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ."

(صحيح البخاري)

"عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ قَالَ فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ . قَالَ أَبُو كَامِلٍ فِي حَدِيثِهِ وَقَفْتُ أَنَا وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجُمِ حَسَّانَ ".

ونعتقد أن سفك الدماء المتنبأ به (99 من كل مائة) من جراء الصراع لأجل الاستيلاء على جبل الذهب (الأسود) والذي انحسر عنه نهر الفرات قد يعني العدد الهائل الفعلي من القتلى في العراق والذي تشير إليه التقديرات ، ولكن التفسير الأفضل

هو ما يمكن أن يحدث مستقبلاً عند استعمال أسلحة الدمار الشامل كالأسلحة النووية .

ونعتقد أن إسرائيل سوف تستغل هذه الحرب الكبرى لتوسيع رقعتها من الفرات إلى النيل لتحقيق الحدود الخرافية التي ينسبونها إلى الكتاب المقدس . ونتوقع أن يصاحب ذلك في نفس الوقت انهيار الدولار الأمريكي واقتصاد أمريكا وقوتها إلى درجة أن إسرائيل سوف تحل محل أمريكا كدولة حاكمة للعالم . وذلك لأنه إذا استعملت إسرائيل السلاح النووي لتسيطر على النفط الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بـ"جبل من ذهب" ، فإن ذلك سيؤدي إلى ارتفاع شديد في سعر النفط وكذلك سعر الذهب وسوف يسبب ذلك انهيارعملة الدولار المبنية على الاحتيال . لقد ارتفع سعر النفط إلى درجة أن أي ارتفاع إضافي شديد سوف يعطي إسرائيل المقدرة على جعل العالم بأسره رهينة للطاقة . وبذلك سيستعمل "شعب الله المختار" الابتزاز عن طريق الطاقة لأجل إقامة مايسمى إسرائيل المقدسة كالدولة الجديدة الحاكمة للعالم .

ورغم أن المؤلف المتواضع قد يكون أول من يفسر أحاديث

الدجال بهذا الشكل ، فهذا لا يبطل صحة التفسير ، وكذلك لاينبغي أن يثني هذا التفسير عزمنا على مقاومة الاضطهاد الإسرائيلي . ونتوقع بالتأكيد أن توالي الأحداث حسب نظام معين سوف يصادق على صحة تفسيرنا لنبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم والتي ستؤدي في النهاية إلى انتصار الحق والعدل . ولما كنا نفسر برأينا تعابير رمزية من القرآن الكريم والحديث الشريف فلابد أن نضيف هنا "والله أعلم" .

وأخيراً فإذا استطعنا أن نحسب بطريقتنا المعتادة في حساب الزمن طول المدة التي كان الدجال فيها في "يوم كسنة" وطول مدة "يوم كشهر" ، فيمكن أن نتصور على وجه التقريب طول مدة "يوم كجمعة" ، أي ستكون أقصر بكثير من "اليوم" السابق [يوم كشهر] . وفي نهاية فترة "يوم كجمعة" نستطيع أن نتوقع أن يولد الدجال في عالمنا المكاني الزمني لأبوين يهوديين كما تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن يحكم إسرائيل و العالم في النهاية وهو مايزال في ريعان الشباب . وسوف يدعي عندئذ أنه المسيح . وعندما يكتمل قبول اليهود لادعائه الكاذب فستكون مهمته قد اكتملت بنجاح .

وربما يرغب القارئ في الاطلاع على تحليلنا للموضوع في كتابنا "القدس في القرآن" حيث نصف مراحل مهمة الدجال الثلاثة ونربطها بالأبعاد الزمنية الثلاثة والتي تصل إلى أوجها بحكمه للعالم من القدس معلناً انتصاره وبأنه المسيح الموعود .

في المرحلة الأولى التي استمرت زمناً طويلاً شن النظام البريطاني المهيمن على العالم حروباً استعمارية غريبة على بقية العالم ونجح في "تحرير" الأرض المقدسة بذكاء ...

وفي المرحلة الثانية من خطة الدجال الكبرى حل النظام العالمي للهيمنة الأمريكية محل نظام الهيمنة البريطانية وشرع في حماية دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية بشكل غامض باستعمال الفيتو (حق النقض) بكثرة في مجلس أمن الأمم المتحدة ، وإسرائيل دولة تتصف بالعجرفة والعدوانية والتوسعية . ونتوقع أن تكون هذه المرحلة أقصر من المرحلة الأولى زمنيا ...

ثم تأتي أقصر المراحل زمناً وهي المرحلة الثالثة والأخيرة من الخطة الكبرى وهي مرحلة الهيمنة اليهودية التي ستفرض نظاماً عالمياً مسيحانيا (نسبة إلى المسيح) جبرياً (دكتاتورياً) ، وتكاد

الآن هذه الهيمنة اليهودية أن تحل محل الهيمنة الأمريكية ...

وأهم النقاط التي نشير إليها في "القدس في القرآن" هي أن العالم يعيش الآن في تلك اللحظة من الزمن حيث تكاد تصل المرحلة الثانية من الخطة الكبرى إلى أوجها وتحل محلها المرحلة الثالثة .

وسنحاول الآن أن نرد على تساؤل مزعج يتعلق بشرح حديث يبين فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كيفية الصلاة في "يوم كسنة" أو "يوم كشهر" أو "يوم كجمعة" من أيام الدجال . لقد قال إن علينا أن نحسب أوقات الصلوات الخمس :

"عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ ... قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ قَالَ لا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ..."

(صحيح مسلم)

بعدما خلق الله تعالى الأرض ، خلق سبع عوالم مكانية زمنية إضافية (السماوات السبع) تختلف عن عالمنا [الأرضي] . وهذه العوالم السبعة موجودة بين هذا العالم وبين عرش الله تعالى .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الدجال عندما يخرج سوف يمر أثناء حياته في الأرض بثلاثة أبعاد مكانية زمنية مختلفة ، وبعد مروره خلال هذه الأبعاد الثلاثة فإنه سوف يولد في هذا العالم المكاني الزمني ويكون يومه عندئذ مثل أيامنا .

ولو سافر إنسان مسلم ودخل إلى إحدى هذه السماوات السبع (أي الأبعاد المكانية الزمنية السبع) كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج ، فسوف يتحتم عليه أن يحسب أوقات الصلاة في كل سماء (أي في كل بُعد مكاني زمني) . وهذا ينطبق أيضاً على الصلاة في القبر . وقد ذكر النبي إمكانية الصلاة في القبر :

"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَيْتُ (وَفِي روَايَةٍ مَرَرْتُ) عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ ."

(صحيح مسلم)

"عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أدخل الميت القبر مثلت له الشمس عند غروبها ، فيجلس يمسح عينيه ، ويقول : دعوني أصلي ".

(رواه ابن ماجه)

النبي محمد (ص) والخطة الكبرى والرقم 666

يرى المؤلف أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم تنبأ بالمراحل الثلاث لخطة المسيح الدجال الكبرى (التي تنتهي بالنظام العالمي) والتي يأمل الدجال من خلالها أن ينجز مهمته وهي انتحال شخصية المسيح الحقيقي وهذا يعني حكم العالم من دولة إسرائيل الدجالة في الأرض المقدسة ، وذلك عندما أنبأنا النبي صلى الله عليه وسلم أن مدة مكوث الدجال في الأرض عندما يخرج هي "أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ " (صحيح مسلم) . وكذلك تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف بحديث تميم الداري أن أول قاعدة للدجال (أي في المرحلة الأولى من مهمته التي تستمر لمدة يوم كسنة) سوف تكون في جزيرة متخصصة

في التجسس تبعد مسيرة شهر في البحر عن جزيرة العرب . ونرى أن هذه الجزيرة لابد أن تكون هي بريطانيا .

ويصف الكتاب المقدس نفس المراحل الثلاثة التي تصل إلى أوجها بحلول نظام نقد عالمي يعتمد على النقود الألكترونية وبحكم المسيح الدجال للعالم من القدس ، كما نرى من النص التالي :

"(16) ويجعل الجميع : الصغار والكبار ، والأغنياء والفقراء ، والأحرار والعبيد ، تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم . (17) وأن لا يقدر أحد أن يشتري أو يبيع، إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه . (18) هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش ، فإنه عدد إنسان ، وعدده : ستمئة وستة وستّون ."

(رؤيا يوحنا اللاهوتي ، الأصحاح الثالث عشر)

وعندما تُفَسَّر هذه التعابير الرمزية للكتاب المقدس يتبين أن الرقم "ستمئة" بالنسبة إلى المسيح الدجال يشير إلى المرحلة الأولى من خطته الكبرى والتي دامت زمناً طويلاً وشهدت نشوء

أول دولة حاكمة للعالم في عصر ما بعد الكتاب المقدس ونشوء الهيمنة البريطانية . ويشير الرقم "ستّون" إلى المرحلة الثانية التي نعيشها الآن والتي ستدوم زمناً أقصر ، وتشهد هذه المرحلة نشوء الدولة الحاكمة الثانية والهيمنة الأمريكية . أما رقم "ستة" فيشير إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من خطة المسيح الدجال الكبرى والتي يُتِمُّ بها تنفيذ مهمته ويخرج في صورة إنسان ليحكم العالم من القدس ومن دولة إسرائيل الدجالة وهيمنتها اليهودية .

وأهم ماتتميز به هذه الخطة الكبرى التي تنفذ حسب نظام معين ، ومنذ بدايتها في الحروب الصليبية الأوروبية ، هو كفرها وانحطاطها وخداعها واضطهادها الوحشي .

الفصل الثالث : السورة والسُنَّة

سوف نحلل في هذا الفصل حدثَيْن وقعا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشارك فيهما الصحابة رضوان الله عليهم ، وذلك بهدف تحديد سنة النبي (أي طريقته أو قدوته) بالنسبة لسورة الكهف وهي السورة الثامنة عشر من القرآن الكريم .

الحدث الأول

نرى في الحدث الأول أن عَبّاد بن بِشْر رضي الله عنه ، أحد صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، حفظ السورة بكاملها وكان يتلوها في صلاته . وبينما كان يحرس ذات ليلة قام يصلي وشرع يتلو السورة كاملة في صلاته ، وأبى أن يقطع قراءتها بل أتم تلاوتها رغم أن العدو رماه بثلاثة أسهم . وقال لصاحبه الذي كان يتناوب معه الحراسة إنه لو قطع قراءة السورة لكان ذلك أشد إيلاماً على نفسه من الموت . هكذا كان حبه لتلاوة سورة الكهف . وإننا ندعو الله تعالى ونأمل أن تكون هذه الرواية حافزاً للقراء على اتباع هذه السنة بحماس وبذل أقصى جهودهم لحفظ سورة الكهف وتلاوتها بكثرة في صلواتهم . وفي ما يلي

روايتان لما حدث لعَبّاد بن بِشْر رضي الله عنه :

"ولما رأى هذا الصحابي المكان من حوله آمنا قام للصلاة علّه يذهب بأجر الصلاة مع الحراسة . وبينما هو قائم يرتل سورة من القرآن الكريم إذ بسهم غادر يصيبه في عضده فينزعه ويسترسل في تلاوته ولكن الغدر رماه في ظلام الليل بسهم ثانٍ فنزعه واستمر في تلاوته ثم رماه بسهم ثالث فنزعه وأنهى تلاوته ثم ركع وسجد ... وفي خضم آلامه وما خلفته من تعب مد يمينه وهو ساجد إلى زميله عمار بن ياسر النائم بجواره ، وظل يهزه حتى استيقظ ، ثم قام هذا الجلد الصابر من سجوده وتلا التشهد ، وأتم صلاته ، قال لعمار بكلمات متهدجة متعبة : قم للحراسة مكاني ، فقد أصبت . ووثب عمار محدثا ضجة وهرولة أخافت المتسللين ففروا فالتفت لصاحبه وقال : سبحان الله.. هلا أيقظتني أول ما رميت ؟ فأجابه ولله درها من إجابة : كنت أتلو في صلاتي آيات من القرآن ملأت نفسي روعة فلم أحب أن أقطعها ووالله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله بحفظه

لآثرت الموت على أن أقطع تلك الآيات التي كنت أتلوها ."

(رجال حول الرسول لخالد محمد خالد)

"عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى صلى الله عليه وسلم نزل بشعب فقال من يحرسنا الليلة فقام عباد بن بشر رضي الله عنه وعمار بن ياسر رضي الله عنه فباتا بفم الشعب فاقتسما الليل للحراسة فنام عمار بن ياسر رضي الله عنه وقام عباد بن بشر رضي الله عنه يصلي فجاء رجل من العدو فرأى الأنصاري فرماه بسهم فأصابه فنزعه واستمر في صلاته ثم رماه بثان فصنع كذلك ثم رماه بثالث فانتزعه وركع وسجد وقضى صلاته ثم أيقظ عمار بن ياسر رضي الله عنه فلما رأى ما به من الدماء قال له لِمَ لا أنبهتني أول ما رمى ؟ قال كنت في سورة الكهف فأحببت أن لا اقطعها. "

(رواه البخاري معلقاً ، ورواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه ، قال الشيخ الألباني (حسن) أنظر صحيح أبي داود [1/40])

ولو أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة رضوان الله عليهم بحفظ سورة الكهف فهذا لايعني أن حفظها يصبح واجباً على جميع المسلمين ، بل يصبح حفظ السورة سنّة . ونستنتج مما ورد أعلاه ومما يلي أن حفظ سورة الكهف سنّة . ومن يقوم بعمل سنة فيتقبلها الله تعالى ، فإنه يكافأ عليها .

وقد من الله على الكاتب بإكمال حفظ سورة الكهف أثناء الاعتكاف في رمضان سنة 1424 أثناء كتابة هذا الكتاب ، فأحس حينها بسرور لايماثله سرور دنيوي عندما قام في صلاته وتلا سورة الكهف كاملة لأول مرة في حياته ، مقتدياً في ذلك بعباد بن بشر رضي الله عنه . ويدعو المؤلف الله تعالى أن يلهم الكتاب القراء بحفظ سورة الكهف بكاملها وتلاوتها في صلاتهم إن شاء الله .

الحدث الثاني

وأما الحدث الثاني الذي يتعلق بصحابي وبتلاوة سورة الكهف فهو مذكور في صحيح البخاري . يذكر الحديث صحابياً كان يقرأ سورة الكهف فكافأه الله تعالى على تلاوته بأن هبطت السكينة على قلبه كما يهبط السحاب فأفزعت فرسه . ولايبين

الحديث فيما إذا كانت السكينة مكافأة على قراءة هذه السورة بشكل خاص أو على قراءة القرآن الكريم بشكل عام . ونرى أن كلاهما ممكن :

"عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَرَأَ رَجُلٌ الْكَهْفَ وَفِي الدَّارِ الدَّابَّةُ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ فَسَلَّمَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ غَشِيَتْهُ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ اقْرَأْ فُلانُ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ ."

(صحيح البخاري)

النبي وسورة الكهف

تبين لنا من الروايات الجميلة أعلاه أن حفظ سورة الكهف من السنة ، وفعلاً فإن الصحابي الشهير ابن مسعود رضي الله عنه يتذكر حفظه للسورة في الروايتين التاليتين :

"عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ : إِنَّهُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلادِي (أي من أقدم ما اقتنيتُه وحفظتُه) ."

(صحيح البخاري)

"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ (ابن مسعود) قَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وَطه وَالأَنْبِيَاءُ هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلادِي ."

(صحيح البخاري)

ونتابع الآن التعريف بالسورة من خلال روايات الحديث الفائق الأهمية الذي يوصي فيه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بتلاوة سورة الكهف كل يوم جمعة لأجل نورها ولأجل الوقاية من فتنة المسيح الدجال أي من خداعه والاختبارات القاسية التي ترافقه :

"عن أبي سعيد الخدري قال : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق ".

(رواه الدارمي وصححه الألباني في صحيح الجامع)

"من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ."

(رواه الحاكم والبيهقي وقال ابن حجر في تخريج الأذكار : حديث حسن وهو أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف

. وصححه الألباني في صحيح الجامع)

"عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة ، وغفر له ما بين الجمعتين ."

(قال المنذري : رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به ."الترغيب والترهيب")

إذاً تدعونا السنة إلى حفظ سورة الكهف وقراءتها كل يوم جمعة . وندعو الله أن يحث هذا الكتاب إن شاء الله كل القراء على اتباع السنة وحفظ سورة الكهف والمداومة على قراءتها كل يوم جمعة .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن إذا التقى بالدجال فينبغي أن يقرأ عليه أول عشرة آيات من سورة الكهف ، وعندئذ لن يستطيع الدجال أن يؤذيه :

"عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ

الدَّجَّالِ"

(صحيح مسلم)

"فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ"

(صحيح مسلم)

"عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"

(سنن الترمذي)

وإذ نفسر سورة الكهف فلا بد أن نعرف القارئ بموضوع المسيح الدجال في الإسلام .

وأول ما نعلمه عن الدجال هو ما تكشفه لنا تسميته ، فلفظة "الدجال" تعني "الخدَّاع" . فالمسيح الدجال سوف يخدع اليهود فيقبلونه على أنه هو المسيح الموعود بينما هو في الحقيقة مسيح مزيَّف .

لقد وعد الله تعالى بني إسرائيل بأن يرسل إليهم نبياً خاصاً يدعى المسيح يُرْجِعُ العصر الذهبي (أي زمن داود وسليمان عليهما السلام) الذي كانت فيه دولة إسرائيل المقدسة تحكم

العالم من الأرض المقدسة . وقد وفى الله تعالى بوعده عندما أرسل إليهم المسيح في شخص عيسى بن مريم العذراء عليهما السلام .

ولكن أكثر بني إسرائيل رفضوا دعوى عيسى عليه السلام بأنه المسيح . إنهم شتموا أمه وقالوا إنه ابن زنا ولم يعترفوا بأنه المسيح . ثم إنهم أكدوا على رفضهم بأن تآمروا لِيُصْلَبَ ورأوه يموت أمام أعينهم من غير أن يحكم العالم من القدس . ثم إن موته مصلوباً أكد لهم في أعينهم اعتماداً على التوراة أنه "ملعون من قبل الرب" .

وبعدما تخلصوا من إنسان اعتبروه مسيحاً دجالاً ظلوا ينتظرون منذ ذلك الحين أن يأتيهم المسيح الحقيقي تحقيقاً لوعد الله لهم في زعمهم .

وبسبب كفرهم بعيسى عليه السلام ورفضهم له وخبثهم في التآمر على قتله ثم افتخارهم بأنهم قتلوه ، فقد رد عليهم الله تعالى بأن أخرج إلى العالم مخلوقاً من صنعه هو المسيح الدجال ، ومهمته أن يخدعهم فيقبلونه على أنه المسيح الحقيقي . ومن خلال خداعه الماهر فإنه سيقودهم إلى طريق جهنم .

ولذلك فإن سورة الكهف والدجال واليهود مترابطة ببعضها ترابطاً كبيراً .

وينبغي أن يرافق التعريفَ بالدجال تعريف بالمواضيع المتعلقة به مثل خروج قبائل يأجوج ومأجوج الذي سيتزامن مع خروج الدجال . والعلامة الدالة على خروجهم في القرآن الكريم هي أيضاً علامة متعلقة باليهود . ومن المواضيع المتعلقة بالدجال أيضاً موضوع مجيء الإمام المهدي الذي سيقود الجيش المسلم الذي سيدمر دولة إسرائيل الدجالة الظالمة . وأخيراً لابد من النظر في أمر إيماننا بعودة عيسى عليه السلام لأجل أن نعالج موضوع الدجال ونفهمه فهماً جيداً . وعودته ستكون إيذاناً بنهاية اليهودية والنصرانية وانتصار الإسلام .

والآن سوف نلقي نظرة على الخلفية التاريخية لتنزيل سورة الكهف لأنها تعطينا مزيداً من المعلومات عن اليهود .

الفصل الرابع

الخلفية التاريخية لتنزيل سورة الكهف

التحدي الإسلامي

منذ أيام النبي إسماعيل عليه السلام لم يعاصر مشركو جزيرة العرب نبياً من عند الله تعالى يعيش معهم لمدة آلاف من السنين سبقت ولادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وكان دين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام قد حُرِّف ، ولذلك كان العرب يعبدون الله ويشركون به الأوثان بدلاً عن عبادة الواحد الأحد الذي لا تدركه الأبصار . فكان الله سبحانه وتعالى عندهم واحداً من الآلهة التي يعبدونها . ولكنهم رغم بقائهم حقبة طويلة من الزمن في فلاة خالية من وحي الله وهداية الأنبياء كانوا مايزالون متمسكين ببقايا من دين إبراهيم الحنيف عليه السلام .

فمثلاً كانوا مايزالون يحجون إلى الكعبة ، بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام في مكة المكرمة وسن الحج السنوي إليه . لقد كان كل العرب يوقرون البيت الحرام ويحجون إليه طوال آلاف السنين من بعد ما بناه إبراهيم عليه السلام . وكان العرب يعترفون بوصاية قريش على الكعبة وهي القبيلة التي يرجع نسبها إلى إسماعيل عليه السلام ، وقد منح ذلك قريشاً شرفاً رفيعاً بين العرب وامتيازات وجلب إليهم الثراء . (لمزيد من التفاصيل عما تبقى عند العرب المشركين من دين إبراهيم عليه السلام ، نرجو أن يرجع القارئ العزيز إلى كتابنا "دين إبراهيم ودولة إسرائيل ، رؤية من القرآن" .)

وفجأة أعلن رجل وُلِدَ في قبيلة قريش ونشأ فيهم أنه نبي الله تعالى مثل النبيَّيْن قبله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . رفض محمد صلى الله عليه وسلم أن يعبد أوثان وآلهة جزيرة العرب المشركة ، وأعلن أن عبادة الأوثان والشرك أمر مُنْكَر وباطل . وأعلن أنه لا إله مع الله الواحد الأحد الذي لا تدركه الأبصار ، إله إبراهيم وإسحاق وإسماعيل وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام . وأعلن أن الله ليس له بنات ولم يولد له ولد ،

ولم يظهر في شخص أحد (لا في مصر الفراعنة ولا في الهند ولا جزيرة العرب ولا بيت لحم ولا حتى في شيكاغو) ، لم يظهر الله في صورة أي شيء أبداً ، لا من خشب ولا رخام ولا حجر . وأن الله هو إله العرب وغير العرب ، والبيض والسود ، وأنه إله مكة وقريش وإله كل المدن والقبائل والأعراق الأخرى .

لقد أعلن محمد صلى الله عليه وسلم أن الله يعتبر الناس "سواسية كأسنان المشط" ، وهو إله الأحرار والحرائر وهو إله العبيد . واستنكر محمد صلى الله عليه وسلم كل أنواع الاضطهاد بما فيها اضطهاد الضعفاء والفقراء والغرباء والعبيد والنساء والأطفال ، وحرم القسوة مع الحيوانات .

لقد تحدى دين الإسلام الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم نظام التحكم والاضطهاد بأكمله والذي بني على أساسه المجتمع العربي . فكان ذلك يشكل تهديداً حقيقياً للنظام القائم .

ومازال الإسلام اليوم يشكل تحدياً للنظام العالمي اليهودي النصراني الأوروبي المبني على الكفر والفساد والانحطاط والاضطهاد الوحشي الذي يستمر بلا هوادة . بل إن الإسلام هو القوة الوحيدة في العالم التي لا تزال تثبت مقدرتها على

تحدي سلطة الطغاة الأوروبيين (البيض) وعملائهم الملونين الذين تشاركوا في إقامة ودعم نظام العالم الأوروبي الذي يمارس اضطهاداً وحشياً لم يسبق له مثيل .

لقد امتلأت قريش رعباً من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وتصريحاته . لقد تحدى أسس نظامهم الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي . بل كان التحدي أكبر من ذلك . فقد كانت جزيرة العرب تفتخر بإنجازاتها الأدبية . فرغم أن أكثر العرب كانوا أميين لايقرؤن ولايكتبون ، فقد كانوا يمتلكون لغة متطورة جداً – اللغة العربية – ويهتمون اهتماماً فائقاً بالشعر ، وكانوا يوقرون شعراءهم ويضعونهم في أعلى مكانة في المجتمع ، فكانت لهم صدمة كبيرة أن يتلفظ محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن (أي ما يُقْرَأ) الذي يتفوق أدبياً على أفضل ما شهدته جزيرة العرب من الشعر . لقد تحدى القرآن العرب الشاكّين فيه في حلبة صراع كانوا يرون أنهم أقوى الناس فيها ، ووجدوا أنفسهم عاجزين عن الرد على هذا التحدي العلني . وكذلك تحدى القرآن الكريم بقية البشر الذين يشكّون في كونه كلام الله أن يأتوا بسورة من مثله . فكان الإسلام تهديداً لمشركي جزيرة

العرب لم يواجهوا له مثيلاً من قبل . فهكذا كان موقفهم .

فكيف سيكون رد العرب المشركين على ذلك التحدي ؟ ماذا كانوا يستطيعون أن يفعلوا ؟ لقد فشلت كل محاولاتهم لإيقاف انتشار الإسلام . إنهم اجتمعوا وتشاوروا ثم قرروا أن يستعينوا بيهود مدينة يثرب الشمالية (واسمها الآن المدينة المنورة) . فأرسلوا وفداً ليسألوا أحبار اليهود : "كيف نختبر محمداً لنرى أهو فعلاً نبي مثل إبراهيم وموسى أم ليس نبياً ؟" فاقترح أحبار اليهود أن يسأل المشركون النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأسئلة ، فأنزل الله تعالى سورة الكهف رداً على ذلك ، ويشير القرآن الكريم إلى سؤالَيْن من أسئلة الأحبار الموجهة إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ... ﴾

(الآية 83 من سورة الكهف 18)

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ... ﴾

(الآية 85 من سورة الإسراء 17)

ونلتفت فيما يلي إلى قصة هذا الوفد إلى يثرب ، وهذه القصة

تشرح العلاقة بين اليهود وسورة الكهف .

وفد المشركين إلى أحبار يثرب

قررت قريش إرسال وفد مكوّن من النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى يثرب (المدينة) ، وهي تقع على بعد حوالي 300 كيلومتراً في الشمال من مكة المكرمة ، للتشاور مع أحبار اليهود ، وكانت تعليمات الوفد :

"سَلُوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ؛ فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ."

(تفسير ابن كثير عن محمد بن إسحاق)

وكانت هناك جماعة كبيرة من اليهود في المدينة ، وكما كان معروفاً فإن اليهود كان يعيش بينهم نبي على الدوام ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن اليهود لم تمر بهم فترة قط لم يكن يعيش فيها بينهم نبي ، من عهد موسى إلى عهد عيسى عليهما السلام . فرأت قريش أن اليهود بسبب تجربتهم العميقة

مع الأنبياء وعلمهم الواسع بهم كانوا خير من يُسْتشار بشأن صحة دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه نبي .

بل إن العرب كانوا يعلمون أن اليهود هاجروا إلى يثرب لأنهم كانوا يتوقعون أن يأتي إليها نبي . ثم إن اليهود كانوا يعلنون لمدة سنين عديدة (بل يصرخون من قمم الجبال) : سيأتي نبي ، سيأتي نبي ، وعندما يأتي سوف يكون نبياً لنا ويمكّن لنا في الأرض لننتصر على أعدائنا . لقد كان اليهود ينتظرون نبياً وعدهم به الله يسمى المسيح . فعندما رأوا العلامات الروحية الدالة على مجيء نبي إلى العالم وأنه سوف يأتي إلى يثرب ، استنتجوا طبعاً أنه هو المسيح . فإن لم يكن هو المسيح ، فهو إذاً ذلك النبي الذي يعادل موسى ويأتي من بين إخوان بني إسرائيل [أي العرب] ، أو ربما يكون هو إِيلِيَّا (الذي يسمى إلياس في القرآن) الذي اضطهده قومه فصعد إلى السماوات بشكل غامض ، فنشأ عن ذلك الاعتقاد بعودة إِيلِيَّا في يوم من الأيام :

" وَكَانَ عِنْدَ إِصْعَادِ الرَّبِّ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ ... وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ

مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ . "

(سفر الملوك الثاني ، 2–11)

ويذكر سفر ملاخي الرابع في 5–6 أن الله حَفِظَ إِيلِيَّا حياً ليوكله بمهمة عظيمة في آخر الزمان في فترة العهد الجديد . ويُعتَقَد أن هذه المهمة ستسبق مجيء المسيح مباشرة (إنجيل متى 17:10،12 وإنجيل مرقس9:11) .

واتجه وفد قريش إلى أحبار يهود يثرب الذين كانوا يتوقعون مجيء نبي ، وكان عندهم الوسائل والقرائن الكافية للتعرف على هذا النبي وتحديد هويته . فماهي تلك القرائن التي سيتعرف بها اليهود على ذلك النبي الذي طال انتظارهم له ؟ وماذا كانت نصيحة اليهود لوفد قريش ؟

الأسئلة الثلاثة

كانت نصيحة أحبار يهود يثرب لقريش أن يسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم ثلاثة أسئلة :

"سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو

نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل فروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ، ما هو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه ، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ."

(من تفسير سورة الكهف ، ابن كثير)

ولا شك أن أحبار اليهود كان يهمهم ماينتج عن لقاء قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يريدون معرفة جوابه على الأسئلة الثلاثة ، وكانوا سوف يتفاجؤون إذا كان نبياً حقيقياً ، لأنهم كانوا يعتقدون بأن النبوة حق لهم من دون الناس . ومازالوا يعتقدون إلى يومنا هذا أن كل نبي بعد إبراهيم عليه السلام لابد أن يكون يهودياً ، ولكن لماذا كانوا هكذا ؟

رغم أن إسماعيل كان ابن إبراهيم عليهما السلام فقد حُرِّفَتْ التوراة وكُتِبَ فيها كذباً أن إسماعيل كان "رجلاً أرعن كالحمار" وأن عهد الله تعالى مع ذرية إبراهيم عليه السلام لا يشمله .

وبما أن اليهود يؤمنون بالتوراة المحرَّفة فإنهم يعتبرون أنه من المستحيل أن يخرج نبي من ذرية إسماعيل عليه السلام (أنظر كتابنا "دين إبراهيم ودولة إسرائيل – رؤية من القرآن) . ورغم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان عربياً أي من ذرية إسماعيل عليه السلام فإن ذلك لم يكن ليمنع اليهود من إبداء بعض الاهتمام بنتائج حوار قريش مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم . على أية حال ، عندما يجيب النبي صلى الله عليه وسلم على الأسئلة فإن قريشاً سوف ترجع إلى اليهود لتسألهم عن صحة الأجوبة .

وفي النهاية نزلت الأجوبة في القرآن الكريم ، ولكن الغريب أن هناك حديث في صحيح البخاري يبدو منه أن الأحبار أخفوا الأجوبة عن قومهم ، حيث أن بعضهم كان لايزال غافلاً عنها عندما جاء بعض اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحوار بأعوام ، بعد هجرته إلى المدينة ، وسألوه السؤال الثالث عن الروح ، فأجابهم بأن تلا عليهم جواب القرآن الذي أنزله الله تعالى منذ عدة سنوات . ولكن الغريب أن الحديث يجعل تنزيل الجواب يبدو وكأنه حدث في وقت السؤال المتأخر:

"حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ قَالَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ سُلَيْمَانُ بْنُ مِهْرَانَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَلُوهُ عَنْ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لا تَسْأَلُوهُ لا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ قَالَ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنْ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً ﴾ (الآية 85 من سورة بني إسرائيل 17)، قَالَ الأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا ."

(صحيح البخاري)

ويبدو أن هذه الرواية يمكن اعتبارها تضليلاً متعمداً قُصِدَ به لَبْس الأمور على الناس ، فإن ابن إسحاق يروي نفس الحدث بشكل مختلف ، فهو يروي عن عطاء بن يسار أن أحبار يثرب (المدينة) هم الذين جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه إلى المدينة وسألوه عن ذلك :

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ أفعَنَيْتَنا أم عَنَيْتَ قومَك فقال " كُلاًّ قد عَنَيْتُ " .

(تفسير ابن كثير ، الآية 85 من سورة الإسراء 17)

إن استفسار الأحبار للنبي صلى الله عليه وسلم عن جوابه على سؤالهم عن الروح يؤكد أن هذا الجواب قد نزل من قبل ووصل إليهم في المدينة قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

وبعد عودة وفد قريش من المدينة إلى مكة جاءت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطرحوا عليه الأسئلة الثلاثة وتحدوه أن يجيب عليها جواباً صحيحاً إن كان نبياً فعلاً . "فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخبركم غداً بما سألتم عنه " . ولم يستثن (أي نسي أن يقول "إن شاء الله") . (في تفسير سورة الكهف ، ابن كثير)

ويرى المؤلف أن الله سبحانه وتعالى ربما اقتضت حكمته أن ينسى النبي أن يقول "إن شاء الله" لكي تحتل هذه العبارة مكانتها الاستراتيجية في موضوع سورة الكهف والعصر الحديث . فما هي هذه المكانة ؟

نرى أن الله في حكمته شاء أن ينبهنا إلى عصر قادم تختفي فيه العبارات الإيمانية (مثل "إن شاء الله" أو "نرجو من الله") من اللغة الدارجة ، وأنه عندما يحدث ذلك فسوف يكون علامة يعرف بها المؤمن أن ذلك العصر سوف يُختَبَر فيه الناس بأكبر الفتن . ويحذر هذا الكتاب من أن "إن شاء الله" قد ابتدأت تختفي بسرعة من مفردات اللغة الحديثة .

وجاءت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم التالي يسألونه عن الأجوبة التي وعدهم بها ، ولم تكن لديه الأجوبة لأن جبريل عليه السلام لم يأته بها . وعندما استمر الحال على ذلك عدة أيام أُحرِجَ المسلمون حرجاً كبيراً وفرحت قريش بذلك :

ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ، لا يُحْدِث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا

محمد غداً ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها ، لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه . وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل ، عليه السلام ، من عند الله – عز وجل – بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ [الآية 85 من سورة الإسراء 17]

(في تفسير سورة الكهف ، ابن كثير)

وقد أسقط العالم الإسلامي الشهير أبو الأعلى المودودي السؤال الثالث عن الروح من جملة هذه الأسئلة محتجاً بأن السؤال الثالث كان عن الخضر عليه السلام الذي تصف سورة الكهف لقاءه بموسى عليه السلام :

"لقد أنزلت هذه السورة للإجابة على ثلاثة أسئلة ألقاها مشركو مكة على النبي الكريم ليختبروه بناء على مشورة أهل الكتاب ، وهي : من هم أصحاب الكهف ؟ ماهي

قصة الخضر ؟ ماذا تعرف عن ذي القرنين ؟"

(تفهيم القرآن للمودودي ، مقدمة سورة الكهف)

ويبدو أن هذا العالم أراد أن يكون الجواب على الأسئلة الثلاثة كلها في سورة الكهف ، وربما كان هذا هو السبب الذي دعاه إلى استبدال السؤال عن الروح بقصة موسى والخضر عليهما السلام . ولكن هذا مُشكِل لأنه من المستبعد أن يعتبر أحبار اليهود معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الخضر عليه السلام برهاناً على أنه نبي ، لأن الخضر عليه السلام أثبت أن موسى عليه السلام كان على خطأ في فهمه للأحداث الثلاثة في القصة ، وموسى عليه السلام هو نبي اليهود ! ولو آمن اليهود بأن علم الخضر عليه السلام دليل على النبوة لبحثوا عن الخضر الذي وهبه الله البصيرة والفراسة ، ولكنهم كانوا دائماً ومازالوا يتمسكون بالعلم الفقهي السطحي الذي يستنبطونه من التوراة ويعتمدون عليه في البقاء على قيد الحياة والنجاح في ما يريدونه . فحجة الشيخ المودودي رحمه الله ليست مقنعة .

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يكون الجواب على سؤالين في سورة الكهف والجواب على السؤال الثالث في سورة بني إسرائيل

(الإسراء 17) لكي يكون ذلك إشارة إلى أن السورتين مترابطتان وينبغي دراستهما معاً ، فإحداهما تعين على فهم الأخرى . لقد أشرنا أعلاه إلى وجوب تلاوة سورة الكهف كل يوم جمعة للوقاية من المسيح الدجال ، وهو المسيح الكاذب الذي سوف يستهدف اليهود ويقودهم إلى هلاكهم النهائي . وأشرنا أيضاً إلى أن سورة الكهف نزلت جواباً على "اختبار" الأحبار لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أعطوه للمشركين بناء على طلبهم لذلك الاختبار . فلا عجب أن ترتبط سورة الكهف بسورة سميت باسم اليهود (بني إسرائيل) ، فهذا هو الرابط الثالث بين سورة الكهف واليهود .

لقد أعلن أحبار اليهود في المدينة أنهم على استعداد للاعتراف بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو نبي حقيقي أرسله إله إبراهيم عليه السلام إذا أجاب على أسئلتهم الثلاثة إجابة صحيحة ، فلا يطلع على مثل هذا العلم إلا نبي حقيقي . وقد اطلع الأحبار على هذا العلم عن طريق تواصل مجيء الأنبياء إلى بني إسرائيل . إنهم كانوا واثقين من أن محمداً صلى الله عليه وسلم لن يستطيع الإجابة على الأسئلة ولم يكن في حسبانهم أن

يضطروا إلى تقبل رجل عربي أمي كنبي حقيقي من عند إله إبراهيم عليه السلام .

وإذا تفحصنا هذه الأسئلة وجدنا أن الأحبار كانوا يختبرون بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم لم يكونوا مهتمين بمجرد إجابات بسيطة ، بل إنهم كانوا يخفون أسئلة أخرى وراء أسئلتهم ، فما هي هذه الأسئلة ؟

نعتقد أن الأحبار طرحوا الأسئلة بمكر ليعلموا فيما إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم عالماً بشأن الدجال ويأجوج ومأجوج ، وهم كائنات قوية وخطيرة خلقها الله ليفتحها على العالم في العصر الأخير ، وعندما يخرج الله تعالى هذه المخلوقات فسوف يستخدمها لاختبار الناس ولمعاقبتهم أيضاً . ولن ينجح في هذه الاختبارات والفتن في العصر الأخير ويسلم منها إلا الذين يؤمنون بالله تعالى وبدين إبراهيم الحنيف عليه السلام ويتبعون النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بكل إخلاص ، وأما بقية البشر فسوف ينخدعون أو يفقدون إيمانهم بشكل آخر ، وسوف تؤدي "العولمة" في العصر الحديث إلى نشوء مجتمع عالمي كافر بالله أساساً يبتلع هؤلاء البشر ويحملهم إلى نار

جهنم . وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من أن يأجوج ومأجوج سوف يحولون 999 من كل 1000 من البشر إلى نسخ طبق الأصل عنهم ، فيدخلون جميعاً في النار (صحيح البخاري) .

فبدلاً عن أن يسألوا عن الدجال مباشرة ، سأل الأحبار عن فتية عاشوا في قديم الزمان والتجؤوا إلى الكهف وكانت لهم قصة عجيبة . وبدلاً عن السؤال عن يأجوج ومأجوج سألوا عن رجل عظيم سافر إلى أقاصي الأرض . وأما السؤال الثالث عن الروح فكان يختلف استراتيجياً عن السؤالين الآخرين ، فهو سؤال مباشر ويبدو أن القصد منه كان إثارة البلبلة .

الأجوبة الثلاثة

الروح

كان السؤال عن الروح مُشْكِلاً جداً . فالإنسان له روح ، وروح القدس هو الملك جبريل عليه السلام ، والله تعالى يقول في القرآن إنه نفخ في الإنسان من روحه ، أي أن الله أيضاً عنده روح إلهية . وأنزل الله تعالى الجواب في القرآن الكريم كما يلي

:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾

(الآية 85 من سورة بني إسرائيل 17)

ولما كان السؤال مباشراً فقد جاء الجواب مباشراً أيضاً ، وشمل الجواب المعاني الثلاثة بشكل مختصر : رُفِضَ السؤال إجمالاً . ووصل الجواب إلى اليهود في المدينة . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ أفعَنَيْتَنا أم عَنَيْتَ قومَك ؟ فقال : كُلاًّ قد عَنَيْتُ .

ومن المهم أن هذا الجواب وُضِعَ بقرار من الله تعالى في سورة بني إسرائيل (السورة السابعة عشرة من القرآن الكريم) بينما وضع الجواب على السؤالين الآخرين (بقرار من الله تعالى أيضاً) في السورة التالية ، أي سورة الكهف .

لقد أدركت الحكمة الإلهية أن هناك فرقاً استراتيجياً بين السؤال الأول والسؤالين الآخرين ، واستخدمت هذه الحكمة التفريق

المكاني البسيط ، لتبيّن لليهود وغيرهم إدراك الله تعالى لهذا الفرق الاستراتيجي . فما هو هذا الفرق ؟

الرجل الطواف

عندما أجابت سورة الكهف على السؤال الثاني عن الرجل الطواف أجابت بشكل مباشر تماماً فسمت الرجل الطواف باسمه : ذو القرنين . ولم تكتف السورة بوصف رحلتيه إلى الشرق والغرب ، بل تعدت ذلك لتجيب على السؤال الحقيقي الكامن وراء السؤال المطروح : هوية يأجوج ومأجوج ، فوصفتهم في رحلة ثالثة سكت عنها الأحبار بشكل مشبوه . فمن الواضح تماماً أن الهدف الحقيقي من السؤال هو يأجوج ومأجوج الذين يمثلون إحدى العلامات الكبرى لليوم الآخر(يوم القيامة) ، وهذا موضوع لا يعلمه إلا نبي . فهذا السؤال لم يشر إلى الهدف منه إلا بشكل غير مباشر ، فهو بذلك يختلف عن السؤال عن الروح .

الفتية والكهف

لقد استُهِلَّت سورة الكهف بالجواب على هذا السؤال ، وصيغ

الجواب بحيث أجاب مباشرة وبالتفصيل على السؤال المطروح ، ولكنه لم يجب إلا بشكل غير مباشر على السؤال الحقيقي المخبأ وراءه ، ولا بد أنه سؤال عن موضوع لايعلمه إلا نبي ، مثل موضوع يأجوج ومأجوج .

ثم إن هذا الموضوع على الأغلب سيكون له صلة بعلامات اليوم الآخر (يوم القيامة) . فما هو الهدف الحقيقي من السؤال ؟

لقد أعطى الجواب في سورة الكهف معلومات مفصلة عن الفتيان الذين التجؤوا إلى الكهف ، ورغم أن هناك دليلاً واضحاً على أن هذا الجواب أخذ المسيح الدجال بعين الاعتبار ، إلا أنه لم يذكر الدجال بشكل مباشر ، ولم يذكره باسمه ، وترك اليهود في حيرة . بل إن القرآن الكريم لم يذكر الدجال بشكل مباشر أبداً لأن الله تعالى أراد أن يترك اليهود في حيرة من أمرهم . إن الجواب كان ملائماً للسؤال من حيث الطريقة .

وبعد سنوات ، وبعدما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فإنه ذكر موضوع الدجال بتفصيل كبير ، وأذهل اليهود بإعلانه أن قراءة الآيات العشر الأوائل من سورة الكهف تعطي

المؤمنين وقاية من فتنة الدجال ، وتشتمل هذه الآيات على بداية قصة أصحاب الكهف . وكذلك أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال سيخرج كرجل يهودي ، وأنه قد أطلق سراحه وخرج إلى العالم فعلاً ، وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأن أشار علناً إلى صبي يهودي في المدينة (ابن صياد) يشتبه أنه الدجال .

وبهذه الطريقة أعلن سبحانه وتعالى أن الذي أجاب باختصار ودقة على السؤال عن الرجل الطواف يعلم الهدف الحقيقي من السؤال عن أصحاب الكهف ، أي الدجال .

لنستعرض باختصار الفوارق في الأسئلة والأجوبة :

السؤال الأول : هدف السؤال (الروح) مذكور مباشرة ولكن السؤال معقد ، والله تعالى يشير في جوابه إلى السؤال والسائلين : "ويسألونك عن الروح ..." ، والجواب في سورة بني إسرائيل (سورة الإسراء) .

السؤال الثاني : هدف السؤال (يأجوج ومأجوج) غير مذكور مباشرة ، بل مخفي . ولذلك جاء الجواب في سورة أخرى :

سورة الكهف ، والله تعالى يشير في جوابه إلى السؤال والسائلين : "ويسألونك عن ذي القرنين ..." . ورغم أن الهدف الحقيقي من السؤال كان مخفياً فإن الله تعالى شاء أن يذكره بشكل مباشر وعلى حد التعيين ، فذكر يأجوج ومأجوج الذين يشكل فتحهم على الناس علامة من علامات اليوم الآخر الكبرى .

السؤال الثالث : جاء الجواب الثالث كالجواب الثاني في سورة الكهف . وهذا يشير إلى تشابه مع السؤال الثاني واختلاف مع السؤال الأول . ونستنتج من ذلك أن الهدف الحقيقي من السؤال الثالث مخفي كما هو الحال في السؤال الثاني ، ولا بد أن يكون شيئاً مشابهاً ليأجوج ومأجوج .

لايشير الله تعالى في الجواب على السؤال الثالث إلى السؤال نفسه ولا إلى السائلين ، فلا يقول "ويسألونك عن ..." ، ويستحيل أن يكون هذا من باب الصدفة . بل شاء الله تعالى أن يبقى الهدف الحقيقي من السؤال الثالث غير مذكور ، وهو المسيح الدجال ، وأوكل تعيين ذلك الهدف إلى النبي صلى الله عليه وسلم عندما ربط سورة الكهف بالمسيح الدجال .

الفصل الخامس : قصة أصحاب الكهف

"سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ." كان هذا أحد الأسئلة الثلاثة التي طرحها أحبار اليهود في المدينة ، إذ صرحوا بثقة لوفد قريش الذي جاءهم من مكة أنه إذا استطاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يجيب على الأسئلة الثلاثة إجابة صحيحة فإن ذلك سوف يثبت أنه نبي حقيقي فعلاً أرسله إله إبراهيم عليه السلام ، لأنه لن يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة إجابة صحيحة إلا نبي .

ونزل الوحي الإلهي بالإجابة على الأسئلة الثلاثة كلها ، وجاء الجواب على السؤال المذكور أعلاه في الآيات 9 إلى 25 من سورة الكهف . وفيما يلي نص الآيات وشرح مختصر يكفي لابتداء فهم النص . تبدأ القصة في الآية 9 وتنتهي في الآية 25 . والشرح هو ترجمة لشرح محمد أسد ، وأما التعليقات بين قوسين فهي بقلم المؤلف :

الآية 9

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾

(ولما كانت الحياة الدنيا مجرد اختبار) ، فهل تعتقد (فعلاً) أن (الأمثال التي ضربناها من خلال حكاية) أصحاب الكهف (التي نقُصُّها عليك الآن لأجل الإجابة على سؤال أحبار اليهود) و (تكريسهم لأنفسهم) للكتب المقدسة (التي يبدو أنهم اصطحبوها معهم إلى الكهف) يمكن اعتبارها أعجب من أي من رسالاتنا (الأخرى) ؟ (إن هذا القرآن الذي يوحى إليك الآن لهو آية أكبر من ذلك!)

الآية 10

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

عندما لجأ أولئك الفتية إلى الكهف ، كان دعاؤهم : "ربنا أنعم علينا برحمة خاصة من عندك ، وامنحنا المقدرة على إدراك

الصواب في أمورنا ، رغم أننا (في ظاهر الأمر) في موقف حرجِ (وهيء لنا مخرجاً من الفتنة التي نعانيها في هذا العالم الكافر الذي يشن حرباً على الإسلام) .

الآيتان 11 و 12

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) ﴾

فضربنا بحجاب على آذانهم في الكهف لمدة سنوات عديدة ، (فأصبحوا بذلك معزولين عن العالم الخارجي) ، ثم أيقظناهم ، (وقد فعلنا ذلك) لكي نبين (للعالم) أية وجهة نظر من اثنتين معروفتين تبدي تفهماً أفضل للفترة الزمنية التي كانوا فيها على تلك الحال . (والواقع أن جوهر الدرس الذي يعلمه الله سبحانه وتعالى في هذه الحكاية ، والذي تتكشف مكوناته في هذا الكتاب حسب نظام معين ، هو أن "الزمن" ليس بسيطاً وذا بُعدٍ واحد ، وإنما هو معقد ومتعدد الأبعاد . إن الزمن يتحرك حركة متعددة الأبعاد إذ يمر خلال العصور ، ولا ينجو من الهلاك

أثناء مرور الزمن هذا إلا من يملك إيماناً قوياً بالله تعالى ويكون سلوكه صالحاً ، وأما الآخرون فمصيرهم الوقوع في مزبلة التاريخ . أنظر الآيات 1 – 3 من سورة العصر 103 .)

الآيات 13 – 15

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15) ﴾

(والآن) ، سنقص عليك قصتهم حقاً . إنهم فتية آمنوا بربهم ، ثم إننا ، (وبناء على طريقة رد فعلهم على الفتنة في دينهم ، والتي أملاها عليهم العالم الذي كان يشن حرباً على الإسلام فقد) زدناهم تعمقا في وعي الطريقة الصحيحة ، ومنحنا قلوبهم القوة (والشجاعة) ، فنهضوا وقالوا (في حوار علني يتحدى العالم الكافر) : إن ربنا هو إله السماوات والأرض ، لن ندعو

إلهاً غيره أبداً : (وبذلك رفضوا سيادة غير الله) . إذا فعلنا ذلك (أي إذا قبلنا سيادة غير الله) ، نكون قد تفوهنا بكبيرة من الكبائر (وهي فعلاً ارتكاب الشرك) ! إن قومنا قد دخلوا في عبادة آلهة (أخرى) بدلاً عن الله ، من غير أن يقدموا أية أدلة معقولة على صحة معتقداتهم ، فمن هو أخبث من الذي يلفق الأكاذيب عن الله (أو الذي يخترع الأباطيل عن الله ، بأن يصدر مثلاً أمراً بالخضوع إلى سلطة الدولة–الأمة العلمانية الحديثة) ؟

الآية 16

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾

ولذلك ، وبعد أن اعتزلتموهم واعتزلتم كل ما يعبدون بدلاً عن الله ، التجئوا إلى الكهف ، وسوف ينشر الله رحمته عليكم ، وسوف يزودكم بكل ما تحتاجه أرواحكم ، مهما تكن أوضاعكم (في ظاهر الأمر) !

(وبعد ذلك كانت نصيحة الفتية لبعضهم البعض كما يلي : عندما تقررون بأن الوقت قد حان للنجاة منهم ، أي من عالم الشرك ، ومن كل ما يعبدونه بدلاً عن الله ، فالتجئوا إلى الكهف ، وسوف ينشر الله رحمته وعنايته عليكم ، وسوف يدبر أموركم هو بنفسه برأفة ورفق ، بحيث تنعمون بالراحة والسهولة).

الآية 17

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾

و (طوال سنين عديدة) لو رأيتهم لرأيت الشمس حين طلوعها تنحرف عن كهفهم إلى جهة اليمين ، وحين غروبها تنحرف عنهم إلى جهة الشمال ، بينما بقوا أحياء في تلك الغرفة الواسعة ، شهوداً على رسائل الله الآتية : لا يجد الطريقة الصحيحة إلا من يهديه الله ، أما من يضله الله فلن تجد أبداً

من يتولى أمره ويدله إلى الطريقة الصحيحة .

الآية 18

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾

ولو رأيتهم لظننت أنهم أيقاظ ، بينما هم نائمون ، و (تحسبهم أيقاظاً لأننا) كنا نجعلهم يتقلبون بشكل متكرر ، أحياناً نحو اليمين ، وأحياناً نحو الشمال (وكان الفتية المؤمنون قد اصطحبوا معهم كلباً للحراسة ، وكان الكلب معهم في الكهف) ، وكان كلبهم (قابعاً) في العتبة ، باسطاً ذراعيه . ولو أنك اطلعت عليهم (فجأة) لاستدرت وهربت منهم ، ولامتلأت منهم رعباً .

الآيتان 19 و 20

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا

لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا
أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ
أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ
فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) ﴾

وهكذا (بعد مرور زمن معين) أيقظناهم ، وبدأوا يسأل بعضهم بعضاً (عما حدث لهم) ، فسأل أحدهم : كم بقيتم على هذه الحال ؟ فأجابوا (أجاب بعضهم) : بقينا هكذا لمدة يوم واحد أو جزء من يوم . (ولكن الذين وهبهم الله بصيرة أعمق من ذلك) قالوا : ربكم أعلم كم بقيتم على هذه الحال . (ولا بد أنهم كانوا جائعين جداً ، ولذلك قالوا) ليذهب واحد منكم بهذه النقود الفضية إلى المدينة ، وليبحث عن الطعام الأكثر نقاء ، وليحضر لكم منه زاداً (لتشبعوا جوعكم) . ولكن عليه أن يتصرف بحذر شديد لكي لا يطلع عليكم أحد ، لأنهم إذا علموا بأمركم فقد يرجمونكم (أو يسبّونكم أو يُحَقِّرونكم أو يؤذونكم) أو حتى يكرهونكم على العودة إلى دينهم ، وعندئذ لن تحققوا أي خير إطلاقاً .

الآية 21

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾

وبهذه الطريقة لفتنا أنظار الناس إلى حكايتهم (أي إلى الواقعة التاريخية) ، لكي يعلموا (يقيناً إذا تفكروا في هذه الواقعة) – كلما تناقشوا فيما حدث لهم (لأصحاب الكهف) – أن وعد الله حق (بيوم القيامة وزمان الشر والفتن عند خروج الدجال) وأنه لا شك في (قيام) الساعة . فقال بعضهم : ابنوا بنياناً تذكارياً لهم ، فالله أعلم بما حدث لهم . ولكن الذين كانوا أصحاب الرأي الراجح في نهاية النقاش قالوا : بل سوف نبني مسجداً (أي بيتاً لعبادة الله) في ذكراهم ! (ولذلك يحل بناء مبنى أو حتى مسجد في ذكرى عبد مؤمن صالح .)

الآية 22

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾

(وعندما يروي هذه القصة أحبار اليهود أو غيرهم في المستقبل) ، سيقول بعضهم : (كانوا) ثلاثة ورابعهم كلبهم ، وسوف يقول آخرون : خمسة وسادسهم كلبهم – وكل ذلك تخمين لا فائدة منه عن مسألة لا سبيل لهم إلى علم يقيني بها – و (هكذا حتى) يقول بعضهم : (كانوا) سبعة وثامنهم كلبهم . قل (لهم إذا واجهوك وحاوروك عن هذه القضية) ربي أعلم كم كان عددهم ، لا يملك إلا قليل من الناس علماً (حقيقياً) عنهم (ولا يشتمل هذا العدد القليل من الناس على أحبار المدينة الذين طرحوا السؤال عنهم) . ولذلك لا تجادل أحداً عن موضوعهم إلا باستعمال الحجج الواضحة ، ولا تطلب من أي أولئك (الرواة) أن ينورك بالعلم عنهم (لأنهم سبق وغيروا القصة وأفسدوها) .

الآيتان 23 و 24

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) ﴾

ولا تقل أبداً عن أي شيء : "إني سأفعل ذلك غداً" من غير (أن تضيف) : "إن شاء الله" . وإذا نسيت (أن تضيف ذلك ، وتذكرت ذلك فيما بعد ، كما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة) فتذكَّرْ ربك في نفسك وقل : أدعو ربي أن يهديني أقرب فأقرب مما أنا عليه إلى وعي الصواب وفعله .

الآية 25

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾

و (يقول بعضهم) : بقي الفتية في كهفهم ثلاث مائة سنة ، وأضاف بعضهم تسعة سنوات (لأن 300 سنة شمسية تعادل 309 سنة قمرية) .

الآية 26

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

قل : الله أعلم كم بقوا (في الكهف) . هو (وحده) الذي يملك علم حقيقة الواقع المخفي في السماوات والأرض ، ما أحسن بصره وسمعه ! ليس لهم من يتولى أمرهم غير الله ، لأنه لا يعطي لأحد أي جزء من سيطرته على كل شيء (ولا يعطي لأحد أي جزء من السلطة الحاكمة العليا التي يملكها وحده في السماء والأرض) .

وقد بُلِّغَ جواب سورة الكهف هذا على سؤال أحبار المدينة عن أصحاب الكهف إلى هؤلاء الأحبار ، وقد مر أكثر من 1400 عام منذ ذلك اليوم وحتى هذا اليوم ، ولكن تقصينا للأخبار لم يسفر عن ورود أي تعليق لعلماء اليهود على هذا الجواب على سؤالهم للنبي صلى الله عليه وسلم .

ويوجه هذا الكتاب دعوة إلى كل علماء اليهود في العالم أن يعلقوا على جواب القرآن الكريم في سورة الكهف على سؤال طرحه علماء اليهود في المدينة المنورة قبل 1400 سنة .

خلاصة القصة وأهميتها في عصرنا

لقد علق محمد أسد على سورة الكهف ، ويكشف تعليقه عن فهمه العميق لجوهر السورة وجوهر قصة أصحاب الكهف . وسوف نورد أدناه مقتطفات طويلة من تعليقه هذا ، كتعريف بترجمته العظيمة للقرآن الكريم للقراء الذين لا يعرفون هذه الترجمة ، وعسى أن يستفيد هؤلاء القراء ، ليس فقط من تعليقه ، بل من الترجمة بكاملها :

نزلت هذه السورة قبل سورة النحل مباشرة ، أي في آخر عام من الفترة المكية ، ومعظم آياتها مكرسة لسلسلة من الأمثال المبنية حول موضوع التضارب بين الإيمان بالله تعالى والتعلق المفرط بالدنيا . وتحتوي الآية السابعة على عبارة تلخص السورة بأكملها ، ومعنى العبارة : "لقد أردنا أن يكون كل الجمال في الأرض وسيلة نختبر الناس بها" ، وهي فكرة يصوغها بأكبر وضوح مثل الغني والفقير المضروب في الآيات 32 – 44 .

وقصة أصحاب الكهف – التي يأتي منها اسم السورة – تمثل مبدأ "ترك الدنيا لأجل الإيمان" (الآيات 13 – 20) ، الذي يزداد عمقاً بضرب مثل الموت والبعث بعد الموت والاستيقاظ الروحاني . وفي قصة موسى مع الحكيم الذي لم تذكر الآيات اسمه (الآيات 60 – 82) ينتقل موضوع الاستيقاظ الروحاني انتقالاً هاماً ، إلى مستوي حياة الإنسان العقلانية وبحثه عن الحقائق النهائية للأمور ، حيث تبرهن لنا الآيات أن الظاهر والواقع يختلفان اختلافاً جوهرياً ، ويصل هذا الاختلاف إلى درجة أنه لاتستطيع إلا البصيرة الروحانية أن تكشف لنا ماهو ظاهر وهمي وما هو واقع حقيقي . وفي النهاية يخبرنا مثل ذي القرنين أن الإيمان بالله تعالى لا يستلزم رفض الدنيا بالضرورة . أو بعبارة أخرى : لا يلزم حصول تناقض بين الصلاح الروحاني وبين الحياة الدنوية والسلطة الحاكمة فيها ، ما دمنا على وعي بأن كل ما يعمله الإنسان في الدنيا سريع الزوال ، وما دمنا على وعي بأننا مسؤولون في النهاية تجاه من لا يخضع

لحدود الزمن والظهور . وهكذا تنتهي السورة بالكلمات : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .

أما بالنسبة لقصة أصحاب الكهف ، فإن معظم المفسرين يميلون إلى الرأي القائل بأنها متعلقة بطور مبكر من تاريخ النصرانية ، وبالتحديد اضطهاد الامبراطور ديقيوس للنصارى في القرن الثالث الميلادي . يروى أن فتية من نصارى أفسوس التجأوا إلى كهف منعزل ومعهم كلبهم لكي يستطيعوا المعيشة طبقاً لدينهم ، ومكثوا هناك نائمين بطريقة معجزة لفترة طويلة جداً (ثلاثة قرون حسب بعض الروايات التي تشير إليها الآية 25 من السورة) . وعندما استيقظوا في نهاية الأمر ، وهم لا يعلمون طول فترة نومهم ، أرسلوا أحدهم إلى المدينة لشراء الطعام . ولكن الوضع كان قد تغير تماماً أثناء نومهم ، فلم تعد النصرانية مضطهدة ، بل أصبحت الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية . وأثارت العملة القديمة (الراجعة إلى عهد ديقيوس) التي أراد

الفتى دفع ثمن المشتريات بها تساؤل الناس على الفور ، وأخذ الناس يستجوبون الفتى الغريب ، فانكشفت قصة أصحاب الكهف ونومهم المعجز .

وكما ذكرنا أعلاه ، فقد اعتمد معظم المفسرين القدماء على هذه القصة النصرانية في محاولاتهم لتأويل إشارة القرآن إلى أصحاب الكهف (في الآيات 9 – 26) . ولكنه يبدو أن الصياغة النصرانية لهذا الموضوع مبنية على رواية شفوية سبقتها بزمن طويل ، وهي رواية ترجع في الواقع إلى مصادر يهودية سبقت عصر المسيح عليه السلام . ويتضح هذا من عدة أحاديث صحيحة (ذكرها جمهور المفسرين) مفادها أن أحبار يهود المدينة هم الذين حرضوا كفار مكة على "اختبار صحة دعوى" النبي صلى الله عليه وسلم بأن يطلبوا منه أن يشرح قصة أصحاب الكهف وغيرها من المسائل . وقد علق ابن كثير في تفسيره للآية 13 من السورة ، مشيراً إلى هذه الأحاديث بقوله : "وقد ذكر أنهم كانوا على دين عيسى ابن مريم، عليه السلام ، والله أعلم ، والظاهر

أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ، فإنه لو كانوا على دين النصرانية ، لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم ، لمباينتهم لهم ." ولذلك نستطيع أن نجزم بأن روايات الناس عن أصحاب الكهف مصدرها الأساسي يهودي إذا ما جردت عن ردائها النصراني وإضافات النصارى إلى خلفيتها . ولو طرحنا ما أضافوه لاحقاً ليوافق رؤيتهم ، ورددنا القصة إلى أسسها ، وهي الانسحاب طوعاً من الدنيا ، و"النوم" الطويل الأمد في كهف منعزل ، و"الاستيقاظ" المعجز بعد فترة غير محددة من الزمن ، لو فعلنا ذلك لوجدنا أمامنا حكاية رمزية مدهشة عن حركة لعبت دوراً هاماً في تاريخ اليهود الديني في القرون التي سبقت مباشرة مجيء المسيح عليه السلام والقرون اللاحقة له ، وهم الأسينيون (وربما كان عيسى عليه السلام ينتمي إليهم) ، وخاصة تلك الفروع من الحركة الذين عاشوا في عزلة فرضوها على أنفسهم بالقرب من البحر الميت . وعندما اكتشفت مؤخراً مخطوطات البحر الميت أطلق عليهم اسم

"جماعة قمران" . ولفظة "الرقيم" المذكورة في الآية أعلاه (والتي ترجمْتُها "بالكتب المقدسة") تدعم هذه النظرية دعماً قوياً . وقد نقل الطبري أن بعض أقدم الفقهاء (وفيهم ابن عباس على وجه التخصيص) اعتبروا لفظة "الرقيم" مرادفة للفظة "مرقوم" (الشيء المكتوب) وبالتالي للفظة "كتاب" (وثيقة رسمية أو كتاب مقدس) . وأضاف الرازي أن علماء البلاغة والفصاحة أجمعوا على أن الرقيم تعني الكتاب . وبما أنه قد ثبت تاريخياً أن أفراد جماعة قمران – أكثر الأسينيين تشدداً – تفرغوا لدراسة واستنساخ وحفظ الكتب المقدسة ، وعاشوا في عزلة كاملة عن بقية العالم ، وكانوا مثالاً للورع وصفاء الخلق ، فهناك احتمال كبير أن طريقة حياتهم الدينية أثرت في مخيلة الذين عاصروهم من أبناء دينهم بحيث أنه نشأت بالتدريج الحكاية الرمزية التي تمثلها قصة أصحاب الكهف الذين "ناموا" – أي انقطعوا عن العالم الخارجي – لمدة سنين لا تحصى ، وقدر لهم أن "يوقظوا" بعد انتهاء مهمتهم الروحية .

ومهما كان أصل الرواية التي يتداولها الناس ، وبغض النظر عن كون مصدرها يهودياً أو نصرانياً ، فإن القرآن الكريم يستعملها فقط كمثل يضرب لقدرة الله أن يميت (أو "ينوّم") وأن يبعث (أو "يوقظ") ، وكحكاية رمزية عن التقوى التي تدفع الناس إلى هجران العالم الخبيث أو الطائش لكي يحافظوا على نظافة إيمانهم من الأردان ، ومكافأة الله تعالى لهم على ذلك بالإيقاظ الروحاني الذي يتجاوز الزمن والموت .

(ترجمة وتفسير محمد أسد للقرآن الكريم)

نلاحظ أعلاه أن مفسر القرآن ابن كثير شك في صحة الرأي الشائع أن أصحاب الكهف كانوا نصارى ، وكان يرى أنهم عاشوا قبل النصرانية بكثير . فهو يتساءل : لو كانوا نصارى ، فلماذا كان أحبار اليهود مصرّين على المحافظة على خبرهم ؟ ونحن نضيف لسبب وجيه : لماذا اعتبروا علم النبي صلى الله عليه وسلم بقصتهم معياراً لإثبات صحة دعوى النبوة ؟ فقد رفض اليهود من قبل دعوى عيسى عليه السلام بأنه المسيح وأنه نبي الله ، بل اعتبروه دجالاً وكذاباً وابن زنا (ونعوذ بالله من

هذه الاتهامات الإلحادية) . ولذلك يتضح أن أصحاب الكهف كانوا من بني إسرائيل .

لقد خان بنو إسرائيل الله تعالى بأن افتروا عليه الكفر مراراً وتكراراً في تاريخهم الطويل . ويعرف هذا النوع من الكفر في القرآن الكريم بالشرك . فعندما ذهب موسى عليه السلام إلى الجبل للقاء ربه ، عبدوا في غيبته عجلاً من ذهب . ويبدو أن القصة في سورة الكهف تشير إلى إحدى جرائم الشرك هذه ، فالمتهم في كلام الفتية هم "قَوْمُنَا" : ﴿ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ . ففي عصر الفتية لم يكن الشرك منتشراً فحسب ، بل إن الذين كانوا يقاومون الشرك كانوا يخضعون للتهديد والملاحقة . وهذا واضح تماماً من وجود كلب الحراسة : ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ ، ومن التحذير الذي وجهوه إلى الفتى الذي أرسلوه لشراء الطعام : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا . إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

لقد قدم الفتية مثالاً ذهبياً في اتخاذ رد فعل على شرك مجتمعهم يدل على الإخلاص التام لله تعالى من غير مداهنة وحلول

وسط . فلم يتزعزع إيمانهم ولم يساوموا رغم التهديد والملاحقة . بل إنهم جابهوا كل التهديدات بأن أعلنوا إيمانهم ، وتحدوا العالم الكافر وأدانوا كفره : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾ متحدّين العالم الكافر ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ رافضين سيادة غير الله ﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا . هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أي بإثبات واضح ومقنع ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ بأن ادعى أنه له الحق بأن يعبد غير الله .

وفي النهاية عندما اشتدت الملاحقة وجدوا أنفسهم مضطرين إلى مفارقة قومهم . لقد لجأوا إلى "الهجرة" أي من البلاد التي لوحقوا فيها إلى بلاد فيها أمن نسبي ، فقرروا الهروب من مدينتهم واضطهادها ، وتوقفوا أثناء هروبهم في كهف للراحة : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ أي عندما تقررون أن الوقت قد حان للهروب من عالم الشرك ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ . أما إبراهيم عليه السلام فقد فر بعائلته من بابل وهداه الله تعالى للهجرة إلى الأرض المقدسة . وأما النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد هربوا من مكة إلى المدينة . وهكذا قدم

الفتية مثالاً للتصرف مشابهاً لمثال خير الأنبياء ، أي ترْك المنزل والمدينة والعمل إلخ والهجرة كلاجئين إلى بلاد بعيدة حفاظاً على إيمانهم !

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث التالي المسلمين أنه سيأتي زمان يضطرون فيه إلى الاقتداء بالفتية الذين فروا إلى الكهف:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ الْغَنَمُ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ .
(صحيح البخاري)

وبما أن قراءة سورة الكهف وقاية من الدجال ، وبما أن عصر الدجال هو العصر الأخير وهو عصر القيامة ، فهذا يعني أن السورة تنذر بأن البشرية سوف تعتنق الكفر وعبادة الأوثان في ذلك العصر كما تصف الآيات أعلاه . وكذلك تنذر السورة بوضوح كل أولئك الذين يؤمنون بدين الإسلام ويحافظون على إيمانهم ويقاومون محاولات العالم الكافر أن يجعلهم جزءاً منه ،

تنذرهم بأنهم سوف يتعرضون للتهديد والملاحقة والاضطهاد كما تعرض لها الفتية أعلاه . وهذا هو ما يفسر الحرب على الإسلام التي تضطرم الآن في كل مكان على أشد ضراوة .

عندما دخل الفتية الكهف كانت تتوهج في أرواحهم الحماسة ، فقد دعَوُوا الله فوراً وطلبوا العون والرحمة من ذات الله تعالى مباشرة : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ . وقد أعجب ذلك التعبير عن الإيمان اللهَ تعالى ، بل الله تعالى سيعجبه دائماً مثل هذا التعبير عن الإيمان . وكان رد فعله أن أعانهم . سورة الكهف إذاً تبلغنا وعداً هاماً جداً من الله تعالى بأنه سوف يعيننا كما أعان أصحاب الكهف .

كان الحل لمشكلة المحافظة على الإيمان بالنسبة للفتية هو الانقطاع التام عن العالم الكافر . ويتضح إذاً إرشاد سورة الكهف لنا في هذا اليوم : إذا أصبح من الضروري في هذا العصر أن يقطع المؤمن نفسه عن العالم الكافر ويهاجر منفصلاً عنه ، لأجل المحافظة على إيمانه بالله وبدين الإسلام ، فإنه يتوجب عليه أن يفعل ذلك . لقد بدأت الحرب على الإسلام ، وسوف تشتد ضراوة ، وقد حذر النبي صلى الله عليه

وسلم في الحديث التالي من هذه المعاناة الرهيبة والاضطهاد في هذا العصر الأخير الذي نعيشه :

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه .

(موطأ الإمام مالك)

لقد استجاب الله تعالى لدعاء الفتية بأن أنامهم وحجب آذانهم عن كل أصوات العالم الخارجي ، فناموا سنين عديدة : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (وبذلك عُزِلوا عن العالم الخارجي) . ويمكن لغيرهم تحقيق نفس الهدف بأن يهربوا إلى مكان مماثل ويتهيأ لهم الزاد والعتاد للمعيشة في عزلة عن العالم الكافر .

والسؤال الآن : كيف حفظ الله تعالى أجسادهم طيلة سنين نومهم ؟ وكيف حفظ أبدانهم من الإصابة بقرحة الفراش التي لا مفر منها إذا بقي المريض مستلقياً في وضع ثابت لفترة طويلة ؟

تقترح الآيات أن الطاقة الشمسية استعملت لتغذيتهم وتحريكهم . وإذا أمكن استعمال الطاقة الشمسية لتحريك الأبدان ، فيمكن استعمالها لتحريك المراوح والسيارات وتشغيل المصانع إلخ . وهذا يعني أن يستعد المؤمنون في هذا العصر لاستعمال الطاقة الشمسية على أقصى نطاق للبقاء على قيد الحياة في فترات الشدة الطويلة التي ستأتي عندما يستعمل الدجال النفط في النهاية كسلاح فتاك . وسيفعل ذلك عندما ينجح في نهاية الأمر في إغراء العالم بأسره أن يعتمد اعتماداً غير قابل للتغيير على النفط في النقل والسفر وإعداد الطعام والصناعة إلخ ، وعندما يجعل ثمن النفط يرتفع بالقسر ارتفاعاً باهظاً .

وعندئذ سوف يستولي أعداؤنا على مصادر النفط استيلاء كاملاً ويخضعون البشرية إلى ابتزاز سياسي بالرضوخ لحكم إسرائيل المسيحاني للعالم مقابل الحصول على النفط .

وإذ يطبع هذا الكتاب يبدو أن دولة إسرائيل اليهودية الأوروبية تستعد لشن حرب نووية في محاولة للسيطرة المباشرة على احتياطي النفط الهائل الموجود حول نهر الفرات (أي في إيران والعراق والمملكة العربية السعودية والكويت ودول الخليج إلخ) .

وقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الحروب (أي الغزو البريطاني الأمريكي للعراق للسيطرة على نفط العراق ، والحرب التي ستشنها إسرائيل) عندما قال :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا . قَالَ عُقْبَةُ وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ يَحْسِرُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ قَالَ فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ .قَالَ أَبُو كَامِلٍ فِي حَدِيثِهِ قَالَ وَقَفْتُ أَنَا وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجُمِ حَسَّانَ .

(صحيح مسلم)

ويبدو من القصة في القرآن الكريم أنه كلما دخل ضوء الشمس إلى الكهف في الصباح انجذبت أجسام الفتية النائمين إليه وتدحرجت تجاهه . وتسمى هذه الظاهرة اليوم "التوجه إلى الضوء" . ثم إنه كلما غربت الشمس في المساء ودخل ضوء الشمس ثانية إلى الكهف من الطرف المقابل ، تدحرجت الأجسام في الاتجاه المعاكس : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ... وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ أي تحسبهم أيقاظاً بسبب تقلبهم . وظاهرة التقلب اليومي المستمر هي التي منعت حدوث قرحة الفراش . ثم إنه يبدو أن تسليط ضوء الشمس على الأبدان زودها بما يكفي لبقاء الأعضاء الحيوية على قيد الحياة . وهذا ما يسمى بظاهرة التركيب الضوئي .

ورغم أن القرآن يذكر فترة 300 سنة (شمسية) فإنه لا يعلم إلا الله كم بقي الفتية نائمين في الكهف . فلما أوقظهم الله تعالى من سباتهم وبدأوا يتساءلون عن فترة نومهم ، اتضح بسرعة

أنهم كانوا متفاوتين في المقدرة على إدراك واقع الأمور (الذي يختلف عن ظاهرها) . فقال بعضهم لبثنا يوماً أو بعض يوم ، وكان هذا ظاهر الأمر . وأما الذين تجاوز علمهم ظواهر الأمور فاستنتجوا – وهم على حق – أنه لا يعلم إلا الله كم طال نومهم : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ . فبينما دل الرأي الأول على عدم وجود فقه روحاني للفترة الزمنية ، دل الرأي الثاني على وجود هذا الفقه . وكذلك سيكون للناس رأيان متفاوتان في عصر الفتن بشأن الواقع الروحاني للزمن . سيكون عصراً يمر فيه الزمن بسرعة . قال النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار.
(سنن الترمذي ، وصححه الألباني)

وهناك إشارة واضحة إلى أن هذا الإحساس المتزايد بتسارع الزمن يرجع إلى تلاعب الدجال بمشاعر البشر ووعيهم ، فقد

أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مدة مكوث الدجال في الأرض عندما يخرج هي "أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ." (صحيح مسلم)

أما المؤمنون الذين تقيهم سورة الكهف من فتنة الدجال فسوف يدركون ويفهمون ماهية "الزمن" و "فترة من الزمن" و "مرور الزمن" في عصر الفتن بنفس الطريقة التي أدرك بها بعض الفتية في الكهف أنهم لم يكونوا نائمين نوماً عادياً لمدة يوم أو بعض يوم .

وقد ناقشنا في فصل سابق من هذا الكتاب موضوع "القرآن والزمن" وتعرفنا على المفهوم الإسلامي للزمن وأن هناك سبعة عوالم مختلفة للزمن كلها تختلف عن عالم الزمن الذي نعيش فيه . وتخبرنا قصة أصحاب الكهف أنهم ناموا 300 سنة ، ولكنهم عندما أفاقوا من نومهم وحاولوا تقدير الفترة الزمنية التي قضوها في الكهف ، كان تقدير بعضهم "يوماً أو بعض يوم" . ويعني هذا التقدير أنهم لم تظهر عليهم أية علامات شيخوخة رغم مرور هذا الزمن الطويل . لم يطرأ أي تغيير على شعر رؤوسهم ، ولا على لحاهم ، ولا على طول أظافرهم ، ولا على

بشرة وجوههم إلخ . وهذا يعني أنهم بقوا على قيد الحياة لمدة 300 سنة وهم موجودون في بُعْدَيْن زمنيَّيْن في نفس الوقت : أولاً في بُعْدِنا الزمني الحيوي (البيولوجي) حيث كانت أجسامهم تتقلب يميناً وشمالاً مرتين كل يوم في الصباح والمساء ، وثانياً في بُعْد زمني آخَر غير حيوي (غير بيولوجي) حيث لم يتعرضوا للشيخوخة رغم مرور 300 سنة .

فقد عرفتنا القصة على وجود بُعْدَيْن زمنيَّيْن مختلفَيْن هنا في الأرض والبُعد الأول موجود إلى جانب البُعد الثاني ! إن فهم هذا الموضوع هو مفتاح تأويل الحديث الغامض عن مدة حياة الدجال في الأرض ، ولهذا السبب بالذات استفتحنا الكتاب بفصل مكرس لموضوع "الزمن" .

ولما كانوا جائعين جداً قرروا أن يرسلوا أحدهم إلى المدينة لشراء الطعام . وأعطوه نقوداً فضية اشراء الطعام . ولكنهم نبهوه إلى ضرورة البحث عن أنظف الأغذية : ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ .

ثم إنهم حذروه من كشف مكان الكهف لأن ذلك سيعرضهم إلى خطر جسيم : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا . إِنَّهُمْ إِن

يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ .

وليس بإمكاننا إلا تخمين ماحدث عندما خرج الفتى من الكهف وذهب إلى المدينة لشراء الطعام . لا بد أن العالم كان قد تغير حينئذ بحيث أصبحت الطرق والمساكن وملابس الناس إلخ مختلفة كثيراً عما كانت عليه من قبل . لابد أنه اندهش وانصدم وتحير إلى أعماق كيانه ، أو حتى أنه ذُعِرَ من التغيير الكامل الذي رآه مقارنة بما كان عندما خرج من مدينته قاصداً الكهف . ولايهتم القرآن الكريم بهذه التفاصيل ولا بهذا الجانب من القصة ، بل يقتصر على إخبارنا بأن العالم الكافر كان قد تغير أثناء نوم أصحاب الكهف بحيث حل الإيمان بالله تعالى محل الكفر . وهذا واضح من قرار أهل المدينة ببناء مسجد تذكاري للواقعة ، ولا يتخذ مثل هذا القرار إلا مؤمنون .

ولابد أن خبر اندثار العالم الكافر الذي كان يضطهد الفتية المؤمنين ، وحلول عالم المؤمنين في محله ، قد ملأ المسلمين في مكة بالأمل ، إذ كانوا يتعرضون لاضطهاد مشركي العرب . لابد أن الخبر أكد لهم أن الحق سوف ينتصر على الباطل

في نهاية الأمر .

وهذا الخبر يؤكد لنا في هذا العصر أن الحرب القائمة على الإسلام لن تدوم إلى الأبد وأن انتصار الإسلام سيحل محلها في النهاية . ولما كانت قراءة سورة الكهف تقي من فتنة الدجال ، فاشتمال السورة على هذه القصة يهدف إلى بعث الأمل في نفوس المؤمنين في عصر الفتن . عندما يتحد العالم كله في شن حرب على الإسلام ، وعندما يعيش المؤمنون تحت اضطهاد يدفعهم إلى أن يمر المرء بالقبر فيتمنى أن يكون في مكان الميت ، فإن هذه القصة تطمئن المسلمين باستمرار بأن الإسلام سوف ينتصر في النهاية على كل أعدائه . فلا ينبغي لهم أن يفقدوا إيمانهم أو أن يسمحوا للشعور باليأس بأن يصل إلى قلوبهم .

وفي تعليمات أصحاب الكهف للفتى أن يتحرى الحذر في اختيار الطعام إشارة إلى أن طعامنا في عصر الفتن سوف يتعرض للإفساد والتلويث والتغيير الوراثي إلخ بحيث يعجز الطعام عن القيام بوظائفه التي خلقه الله تعالى لها . فمثلاً اللبن ومنتجاته قد يكون لها وظيفة في تمكين الجسم من صيانة نظام

المناعة ، ولكن إذا حقنت الأبقار بالهرمونات لأجل زيادة إنتاج اللبن ، فإن هذا اللبن سيكون فاسداً عاجزاً عن القيام بهذه الوظيفة ، أو سيكون له أضرار أخرى .

وروي عن النبي عيسى عليه السلام أنه نصح بني إسرائيل نصيحة مشابهة للتي نجدها في القصة في سورة الكهف :

> عن مالك أنه بلغه أن عيسى ابن مريم كان يقول يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره .
> (موطأ الإمام مالك)

وأخيراً فإن القرآن الكريم لا يذكر تفاصيل نقود الفتى من غير سبب هام ، إنها "وَرِق" أي عملة فضية : ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ . تحذير سورة الكهف واضح : ينبغي على المؤمنين أن يوجهوا أقصى انتباه إلى النقود في العصر الأخير . عليهم أن يميزوا بين النقود الحقيقية والنقود الوهمية . فالنقود الحقيقية التي استعملها أنبياء الله تعالى عبر العصور كانت دائماً عملة ذهبية أو فضية ، أو سلعة كالقمح والشعير والتمر والملح إلخ . فالنقود الحقيقية قيمتها ذاتية ، أي

قيمة النقود موجودة فيها نفسها . أما النقود الكاذبة فالذي يصدرها هو الذي يحدد قيمتها بشكل اعتباطي ، ولا يمكن استبدالها بنقود حقيقية . فعندما تنهار قيمة النقود الكاذبة ، تحدث سرقة تحت غطاء قانوني تنتقل من خلالها ثروات هائلة من عامة الناس إلى النخبة التي تأكل أموال الناس ، القابعة في داخل البلاد أو خارجها ، وهذا رِبا (أنظر كتابَيْن لي عن هذا الموضوع : "أهمية تحريم الربا في الإسلام" ، و "تحريم الربا في القرآن والسنة") .

إننا نعيش في عصر سقطت فيه البشرية في فخ عالم النقود الكاذبة ، حيث تنهب أموال الناس ، بل إن الكثيرين أصبحوا يعملون كرقيق مستعبدين .

نتائج القصة الأساسية بالنسبة للمسلمين الذين يعيشون في العصر الحديث

لقد درسنا أهمية القصة بشكل عام . لنركز الآن على السبب الأساسي للخلاف بين الفتية وبين العالم الذي كانوا يعيشون فيه

، وهو يكمن في أن العالم كان يعبد آلهة من دون الله : ﴿ هَؤُلاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أي بإثبات واضح ومقنع ، ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي بادعاء حق إخضاع الناس لهذه الآلهة . فالذنب هو الشرك ، وهو الذنب الذي لا يغفره الله أبداً :

﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾
(الآية 48 من سورة النساء 4)

أي أن الله لايغفر أن يعتبر المرء شخصاً غير الله كإله أو يعبده كإله أو يعطيه السيادة أو السلطة العليا إلخ . ويغفر أي شيء غير ذلك لمن يشاء . ومن يعترف بغير الله كإله أو يعبده فقد ارتكب جريمة شنعاء .

ونحن نعيش اليوم في عالم يعانقه الشرك تماماً . بل إن الشرك أصبح يسيطر على العالم بأسره . وكثير من علماء الإسلام والمنظمات الإسلامية المعروفة عاجزون عن إدراك أنه شرك أو غير راغبين في إدانة الشرك كما أدانه الفتية في سورة الكهف .

ويُعرَف شرك العالم الحديث بسهولة لأن الله حرم الربا تحريماً قطعياً (وهو استدانة المال وإقراضه بالفائدة) وحرم الخمر والميسر (القمار) واللواط والمساحقة بين النساء والإجهاض إلخ ، ولكن الدول الحديثة في كل أنحاء العالم بما فيها الدول المسماة بالدول الإسلامية قد سمحت أو تسمح بكل هذه المحرمات . وتسن باستمرار قوانين تحلل كل ما حرمه الله .

ثم إن الله أحلَّ تعدد الزوجات (وحدده بأربعة) بشرط أن يقوم الزوج على زوجاته ويعدل بينهم . وقد أعلن الله تعالى أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمؤمنين ، وكان له زوجات عديدة . ونرى شرك العصر الحديث بوضوح في هذه الأيام إذ تسن الحكومات في كل مكان قوانين تحرم ما أحله الله ، فالقوانين اليوم تحرم تعدد الزوجات ، وتحرم زواج الفتيات قبل بلوغ سن 16 (وأحياناً 18) سنة .

فهم يحرمون ما أحل الله ، ويحللون ما حرم الله . فلننظر الآن إلى الآيات التالية لنرى ما تقوله عمن يفعل ذلك ، ولننظر أيضاً إلى شرح النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآيات :

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الآية 21 من سورة الشورى 42)

أي هل يؤمن الذين لايهمهم إلا الدنيا بقوى يعتقدون أن لها حصة من ألوهية الله تشرع لهم كقانون أخلاقي تصرفات لم يأذن بها الله أبداً ؟ ولولا أن الله قضى أن يكون يوم الدين والمحاسبة في وقته المعين لقضى بينهم في الحياة الدنيا ، ولكن عذاباً أليماً ينتظرهم في الآخرة .

﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

(الآية 31 من سورة التوبة 9)

وتفسير هذه الآية في الحديث التالي :

عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح

عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ قال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه .

(سنن الترمذي ، قال الألباني : حسن)

ويدعي النصارى أن عيسى عليه السلام قبل صعوده إلى السماء أعطى للحواريين سلطة تشريع الحلال والحرام :

"الحق اقول لكم ، كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء ، و كل ما تحلونه على الارض يكون محلولا في السماء ."

(إنجيل متى 18 : 18)

ومن الواضح أن هذه الآية من إنجيل متى كان ينبغي أن تقول : كل ما هو حرام في السماء يكون حراماً في الأرض ، وكل ما هو حلال في السماء يكون حلالاً في الأرض !

يخضع المسلمون في كل أنحاء العالم اليوم لسلطة حكومات تمارس الشرك ، يصوتون لها في الانتخابات ، ويحلفون على

دساتير تعطي للحكومات سلطة ممارسة الشرك ، وهم موظفون عند هذه الحكومات ويخدمونها بإخلاص ، ويوقرون ويدعمون ويطيعون تلك الحكومات . فلا شك إذاً أننا جميعاً في الشرك إلا ما شاء الله . ولكن كثيراً من علماء الإسلام يتبنون موقفاً حيادياً من هذه الأمم ، أو يتعامون عن شركها ، أو يناصرون هذه الحكومات ، وهذا أسوأ المواقف .

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال سيفتن البشرية بوابل من الشرك وأن شرك الدجال سوف يُداهِم الناس بطريقة خفية يصعب التعرف عليها كما تصعب ملاحظة "دبيب النمل على الصفا (الصخرة السوداء) في الليلة الظلماء" (مستدرك الحاكم) . ويسهل علينا أن ندرك أن هذه النبوءة قد تحققت في تسمية أيام الأسبوع والأشهر في اللغة الإنجليزية التي تستعملها الآن كل الأمم (إلا ما شاء الله) .

إن أسماء كل أيام الأسبوع من "Sunday" إلى "Saturday" و أسماء كل أشهر السنة من "يناير" إلى "ديسمبر" تشتمل على أسماء آلهة المشركين . فإذا استعملنا هذه الأسماء بدلاً عن أسماء أيام الأسبوع والأشهر الواردة في سُنّة رسول الله صلى الله

عليه وسلم (بل إن بعض هذه الأسماء مذكورة في القرآن الكريم) نكون قد دخلنا في الشرك . وأيام الأسبوع الواردة في السُنّة هي :

يوم الأحد (أي اليوم الأول من الأسبوع) ، يوم الإثنين (أي اليوم الثاني من الأسبوع) ، يوم الثلاثاء (أي اليوم الثالث من الأسبوع) ، يوم الأربعاء (أي اليوم الرابع من الأسبوع) ، يوم الخميس (أي اليوم الخامس من الأسبوع) ، يوم الجمعة (أي يوم صلاة الجماعة) ، يوم السبت (أي يوم الانقطاع والراحة ، ويوما الجمعة والسبت مذكوران في القرآن) .

أما أسماء الأشهر الواردة في السُنّة فهي :

محرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثاني ، جمادي الأول ، جمادي الثاني ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة (شهر رمضان مذكور في القرآن) .

وبسبب التحذير الشديد من الشرك والذي ورد في قلب قصة أصحاب الكهف ، فقد اختتم القرآن الكريم القصة بالعبارة التالية في الآية 26 والتي تقرر أن السلطة العليا في الحكم هي لله

تعالى فقط :

﴿ ... وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾

وقد أخبرنا القرآن الكريم بدعاء موسى عليه السلام عندما وجد نفسه في وسط قوم اعتنقوا إثم الشرك ورفضوا الانفكاك عنه :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾

(الآية 25 من سورة المائدة 5)

وبعد أن كشفنا وشرحنا الشرك المستشري في العصر الحديث ، ولفتنا الانتباه إلى الحرب على الإسلام التي تتأجج في كل أنحاء العالم ، بقي علينا أن نطبق الدرس الذي تعلمناه من قصة أصحاب الكهف في هذه السورة من القرآن الكريم . فعندما يصبح الأمر ضرورياً ، ولكي نحافظ على إيماننا بالله تعالى ، ينبعي علينا ، بدورنا ، أن نهرب كما هربوا من العالم الكافر الذي يشن حرباً على الإسلام .

لقد روي أن العالم والمفكر الإسلامي التركي البارز بديع الزمان سعيد نورسي نصح المسلمين في تركيا بعد زوال الخلافة أن

يهاجروا من المدن إلى الأرياف وأن يحاولوا المحافظة على دينهم في عشرة آلاف قرية إسلامية .

ونحن نشاركه في الرأي . إننا نعتقد اعتقاداً راسخاً أن الحفاظ على إيمان المسلمين في عصر يأجوج ومأجوج الحديث يكمن في الهجرة من مدن العالم الحديث إلى قرى إسلامية نائية حيث يمكن إنشاء جماعات إسلامية صغيرة ، يكون أتقى المؤمنين نواة لكل منها ، فيكونون خير قدوة في سلوكهم (وخاصة في عبادتهم) يقتدي بهم سائر سكان القرية .

تنصح سورة الكهف المؤمنين بمصاحبة أمثال هؤلاء ، وخاصة في عصر الدجال ويأجوج ومأجوج ، وتحذرهم من الابتعاد عن هذه القدوات العظيمة ، ومن الوقوع فريسة لإغراءات العالم الحديث (وبريقها وبذحها) ، وذلك في الآية28 ذات الجمال الساحر ، والتي سنشرحها ونفسرها :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

شرح بسيط : وليكن قلبك راضياً بصحبة الذين يدعون ربهم صباح مساء يريدون بذلك وجه الله . ولا تَسمحْ لعيْنيْك أن تُجاوزاهم في طلب البذخ و كل ماهو براق أو جميل في هذه الدنيا . ولا تطع من جعلنا نفسه غافلة تماماً عن ذكر الله ، لأنه كان دائماً يتبع ماتهواه نفسه وابتعد عن كل خير وحق .

تفصيل : و (إلى أن يأتي يوم الحساب) ليكن قلبك راضياً (باشتغالك) بصحبة (أولئك المؤمنين المخلصين) الذين يدعون ربهم صباح مساء (دعاء صادراً من أعماق قلوبهم وأنفسهم) يريدون بذلك وجه الله (إذاً عبادتهم ليست مجرد طقوس تنفذ بشكل آلي) . ولا تسمح لعينيك أن تجاوزاهم في طلب البذخ و كل ماهو براق وجميل في هذه الدنيا (أي لا تدع العالم الكافر يغريك بأشيائه الجذابة أو يدفعك إلى الابتعاد عن عباد الله تعالى المخلصين مقابل رشوة زهيدة) . ولا تطع (لا تقتدِ بهم أو تجعلهم رؤساءك وزعماءك) من جعلنا أنفسهم غافلة تماماً عن ذكر الله (أي لا يذكرون الله باستمرار في قلوبهم) لأنهم كانوا دائماً يتبعون (فقط) ماتهواه أنفسهم (أي خططهم الخاصة لإشباع شهواتهم إلى السلطة والسمعة والمال إلخ) وهم مبتعدين

عن كل خير وحق (بينما هم يشنون الحروب على عباد الله المخلصين) .

تفسير : في هذه الآية الجميلة الساحرة تعطينا سورة الكهف نصائح إضافية وتحذيرات بشأن ردود الأفعال الصحيحة التي ينبغي أن يتخذها المؤمنون تجاه المخاطر التي سيتعرضون لها في العالم الكافر في عصر فتنة الدجال وظلم وفساد نظام يأجوج ومأجوج العالمي .

وخلاصة هذه التوجيهات هي أنه سيتحتم على المؤمن أن يختار بحذر الأشخاص الذين سيصاحبهم و يرتبط بهم ، أي الجماعة التي سينتمي إليها . على المؤمن أن يلتزم بمصاحبة عباد الله تعالى المخلصين ويحافظ على ارتباطه بهم ، وهم أولئك الذين يضيئون ما حولهم بتقوى مستمرة وتواضع وشخصية ربانية وسلوك ثابت .

هؤلاء المؤمنون سيثبتون في عزمهم على دوام الإخلاص لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بينما تتأجج الحرب على الإسلام في أنحاء العالم .

وعلى المؤمن أيضاً أن يتجنب صحبة الذين يمارسون الكفر والإثم والشره والطمع والشهوة والافتخار والتعالي والاستكبار والانتقام والنكاية والتحدي في سلوكهم ويساندون أولئك الذين يحاربون الإسلام . إن هؤلاء يتبعون خطتهم الدنيوية الخاصة وستحبط أعمالهم .

الفصل السادس : مَثَل الغني والفقير

لقد روينا وحللنا في الفصل السابق القصة المذكورة في سورة الكهف عن الفتية الذين هربوا إلى الكهف . وختمنا الفصل بملاحظة أن الفتية هربوا من الشرك ، وهو أكبر وأخطر ذنب لأنه الذنب الوحيد الذي أعلن الله تعالى أنه لن يغفره (أي إذا مات المرء قبل أن يتوب ويستحق المغفرة لهذا الذنب) .

وتعود السورة إلى موضوع الشرك بعد آيات قليلة من خاتمة قصة أصحاب الكهف لتوجه الانتباه إلى شكل أخر من أشكال الشرك الذي سيسود عصر الدجال . تأتي الآن قصة رجلين أعطى الله لأحدهما مالاً في صورة حديقتَيْن مثمرتَيْن بينما بقي الآخر فقيراً لأنه لم يُعْطَ مالاً ، ولكن مال الغني أفسده وغرّه فقضى على إيمانه ، فقد كان يعبد الله نظرياً ، ولكنه كان يعبد ماله (أي الدنيا) عملياً ، وهذا شرك ، فجاءه في النهاية عذاب الله فقضى على ماله .

أما الفقير فأدرك أن الفساد في قلب الغني هو شرك ، وحذره من عذاب الله الذي يمكن أن يكون عاقبة هذا الشرك ، أي أن

يقضي الله على حديقتَيْه ويسلبه ماله .

ولم يحسد الفقير الغني على ماله ، بل نصحه بأن يستسلم لسيادة الله باعترافه بأن هذا المال جاء من عند الله تعالى ، وأن عليه أن يكون رد فعله الشكر لله تعالى واهب المال . وعبر الفقير أيضاً عن أمله في أن يعطيه ربه في الآخرة ما هو خير من حديقتَيْ الغني ، وما هو خير من الفقر الذي كان يعيشه في الدنيا .

وتصف هذه القصة في سورة الكهف حقيقة عالم اليوم الذي صنعتْ فيه أغلالُ العلمانية الكافرة والمادية طريقةَ الحياة الحديثة ، التي يُفْسِد فيها الجشع ، واشتهاء المال ، والممتلكات المادية ، والجنس ، الغالبية العظمى من البشر حول العالم ، بما فيهم كثير من المسلمين .

وتحذر السورة الذين يتوقون إلى الدنيا أنه ليس فيها شيء يبقى ، فكل شيء يزول ويمر ، فبدلاً عن أن يعيش المرء "في" الدنيا و "لأجل" الدنيا ، عليه أن يعيش "في" الدنيا ولكن "لأجل" الآخرة . وعلى المؤمن أن يسعى في الدنيا لتحقيق مهمة الحياة "لأجل" الله ، واثقاً من أن الله تعالى إذ يتقبل منه خضوعه

وعبادته وصبره ، فسوف يكافئه بخير كثير في الحياة الآخرة .

وتلخص هذه الرسالةَ آية لا تُنسى من سورة الكهف (الآية 46) :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

وفيما يلي النص القرآني لمثل الغني والفقير ، وتبدأ القصة في الآية 32 وتنتهي في الآية 46 :

الآية 32

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾

[الجنة هي الحديقة أو البستان ، ويسمى بستان العنب كَرْماً . أما الزرع الموجود بين الكرمَيْن فهو الحقل الذي يزرع فيه القمح أو الذرة أو غيرها .]

الآية 33

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا

خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴾

أي أنتج كل كرْم كمية وافرة من الأعناب ، لا نقص ولا عيب فيها ، وكان يجري نهر خلال الكَرمَيْن .

الآية 34

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾

أي أنتج الكَرْمان ثمراً وافراً ، وكان يتحاور مع الفقير فقال له : مالي أكثرمن مالك ، وأتباعي أكثر وأشرف وأقوى من أتباعك .

الآية 35

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾

ثم دخل إلى حديقته وهو على هذه الحال من الفساد الروحاني ، فأعلن قائلاً : لا أعتقد أن مالي في هذه الحديقة سوف يفنى أبداً .

الآية 36

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ

خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾

وأعتقد أن قيام الساعة (يوم الحساب) بعيد أشد البعد في المستقبل ، بحيث أنه يمكن أن نقول عملياً أن الساعة لن تأتي أبداً ، وحتى لو أرجعوني إلى الله فسوف يعطيني ربي مكافأة من عنده أفضل مما عندي الآن ، تعويضاً عما سأخسره عند موتي .

الآية 37

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾

فأجابه صاحبه الفقير في معرض الحوار : هل تجحد نعمة من خلقك ، من تراب ، ثم من نطفة ، ثم سواك رجلاً ؟

الآية 38

﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

أما أنا ، فأشهد أن الله ربي ولن أشرك بربي أحداً .

الآية 39

﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ

إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴾

لماذا لم تقل عندما دخلت حديقتك : هذا كله *ما شاء الله* أن يكون فكان ، ولا قوة إلا بالله . لو أردت أن تقيّمني لوجدت فعلاً أنني أقل منك مالاً وولداً .

الآية 40

﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾

لكن تَذَكَّرْ أنه ربما سيعطيني ربي في نهاية الأمر شيئاً أفضل من حديقتك ، وأن ربي يستطيع أن يصيب حديقتك بصواعق (محاسبة لك على عملك) من السماء فتصبح رملاً أملس (أي يقضى عليها) .

الآية 41

﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾

أو يجعل الله مياه الحديقة تغور في الأرض فلا تستطيع استرجاعها (فتموت حديقتك عطشاً) .

الآية 42

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

وهذا ماحدث فعلاً ، فكان أن أحاط الخراب بثماره وسعادته ، فصار يقلّب يديه أسفاً على ما أنفقه على حديقته ، وقد انهارت فوق أساسها وتحطمت ، فلم يملك إلا أن يقول : الويل لي ! يا ليتني لم أشرك بربي أحداً !

الآية 43

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾

ولم يجد أعواناً ينتصر بهم على بطش الله ، ولا استطاع أن ينقذ نفسه من حاله التعيسة .

الآية 44

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾

وذلك لأن كل قوى الحماية هي بيد الله وحده ، الله هو الحق (الحقيقة) . وهو خير من يكافئ وخير من يحدد ما سيكون .

الآية 45

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾

واعرض عليهم مثل الحياة الدنيا (حكاية رمزية لها) : إن الحياة الدنيا كالمطر الذي ننزله من السماء ، فتمتصه نباتات الأرض ، ولكن بعد مرور زمن معين لا يبقى منها إلا القش الذي تذروه الرياح ، والله وحده هو الذي يتحكم بكل شيء .

الآية 46

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، أما الأعمال الصالحة – التي تدوم ثمارها إلى الأبد – فلها قيمة أكبر بكثير في نظر الله ، وهي أساس أفضل بكثير لبناء الأمل .

إن نص القرآن الذي يحكي الحكاية الرمزية عن الغني والفقير يحذر من المخاطر التي يواجهها الإنسان عندما يُفسد المالُ

الإيمانَ ويحطمه ، وينتهي بالتذكير بيوم الدين (يوم المحاسبة) والمصير الذي ينتظر من يفقد إيمانه .

أهمية القصة

تقارن القصة بين طريقة حياة الغني وطريقة حياة الفقير ، وترمز بذلك للحياة في عصر الدجال .

إن الله تعالى هو الذي يعطي المال أحياناً كأمانة وكاختبار في هذه الحياة . وأحياناً يستعمل الله المال كعقوبة لأن ذلك المال يكون طريقاً إلى الخراب . وإذا لم يكن كسب المال حلالاً ، كما هي الحال في استعمال نظام البنوك الربوية الحديثة ونظام التأمين ، فالمال الحرام يضمن أن يحترق مالكه في نار جهنم .

إن العلمانية وفلسفة المادية الناجمة عنها التي تستغني عن الله والدين تفسدان القلب بأمراض مميتة . والمرض الأكثر انتشاراً في العصر الأخير هو اشتهاء المال إلى درجة تجعل الإنسان أعمى تجاه الواقع الروحاني . يتعرض لغسيل دماغ ويعيش في عالم الخيال الوهمي (جنة المغفلين) بينما يمشي بفرح على طريق الجحيم . وأهمية هذه الحكاية من سورة الكهف تكمن في

تحذيرها من هذا المرض .

يعظم العالم الحديث المال وطريقة حياة الأغنياء ، وينتهي الأمر بالفقراء إلى ازدياد بغضهم واحتقارهم للفقر ، ويقنعون أنفسهم بأن عليهم أن يفعلوا مايلزم – حلالاً كان أو حراماً – ليخلصوا أنفسهم من "لعنة" الكفر . ويؤدي ذلك إلى انتشار قطع الطريق ، والسرقة ، وجرائم السطو العنيفة ، والخطف إلخ . بل إن المجتمع يفسد بأسره لأن الأغنياء أيضاً يستعملون طرقاً مخالفة للقانون لزيادة مالهم باستمرار .

لم يفاخر الفقير في هذه السورة بأي شيء . وضع ثقته في الله تعالى . وفي النهاية حطم الله مال الغني وكان الفقير أسعد منه . إن في هذه الحكاية الرمزية رسالة مواساة وأمل ودعم قوية للمؤمن الفقير الذي يعيش في عالم يرى أن الغني له قدر وقيمة وأن الفقير لا قدر ولا قيمة له ، عالم يشيطن الفقرَ كشر يجب استئصاله .

لقد التقط عبد الله يوسف علي صورة رائعة لجوهر حكاية الغني والفقير الرمزية في الاقتباس التالي (المنقح) من تفسيره :

كان المتكبر منتفخاً بأملاكه ودخله وعائلته الكبيرة وكثرة أتباعه ، وظن في اعتزازه بنفسه أن ذلك سيدوم إلى الأبد . وكان مخطئاً أيضاً في احتقاره لصاحبه الذي كان خيراً منه رغم قلة ماله . ولم يكن ماله هو الذي حطمه وإنما الموقف الذي اتخذه في عقله . وكان ظلمه لنفسه أكبر من ظلمه لصاحبه . حب المادة جعله ينسى الأمور الروحية أو يتحداها . وكما ترينا الآية 37 ، فإن الغني اصطحب الفقيرَ لكي تعجبه عظمةُ الغني ، ولكن الفقير لم يتأثر بغنى الغني . وهنا تتكشف العقلية المادية : لفظة "أفضل" تعني في عقله أكثر مالاً وأكبر قوة من النوع الذي كان يتمتع به في حياته ، رغم أن كل ما كان يملكه كان يرتكز على أسس جوفاء ، مصيره إلى الفناء وتحطيم الغني معه .

وكانت حجة صاحبه الفقير تنقسم إلى خمسة أجزاء : اعترض على كفر المتكبر بالله ، ثم أعلن معتمداً على خبرته الروحية أن الله واحد أحد وأنه طيب ، ثم نصحه بطريقة أفضل للاستمتاع بنعم الله ، أي أن يكون شاكراً

لله . ثم عبر عن قناعته ورضاه بمعاملة الله له . وأخيراً حذره من أن طبيعة بضائع الدنيا سرعة الزوال وأن عقاب الله للمتكبر حتمي .

(عبد الله يوسف علي ، ترجمة وتفسير سورة الكهف ، الملاحظات 2376–2380)

كيف ينبغي أن يكون رد فعل المؤمن على العلمانية والمادية اللتَيْن تسيطران اليوم على البشرية والعالم ؟ تجيب سورة الكهف على هذا السؤال . ويستمر عبد الله يوسف علي :

كان العقاب الذي حل بالغني المتكبر هو الحسبان أي الصواعق ، ولكن المعنى العام للفظة يشتمل على المحاسبة . وربما تضمن المعنى الزلزال أيضاً ، لأنه يغير مجاري المياه ، ويحول القنوات تحت الأرض ، ويخرج الوحل والرمل ، ويغطي مساحات كبيرة بالخراب . أما الثمار والنفقات وتقليب الكفَّيْن ، فينبغي أن تفهم بمعناها المجازي العريض ، بالإضافة إلى المعنى الحرفي . لقد كان دخله كبيراً وشبعه وافراً ، وذهب عنه ذلك كله . كانت موارد أرضه سخية ، استغرقت تفكيره ،

وبنى آماله عليها ، وأصبحت حياته مليئة بغرامها . ياليته اتجه إلى الله بدلاً عن بضائع الدنيا السريعة العطب !

إنه في عقله قد جعل من نفسه وشيطانه نداً لله ، بنى علاقات ، وأرضى الذين أعالهم ، وكان فخوراً بأن كنانته مليئة بالسهام . ولكن أين كان كل ذلك عندما أتاه حسابه ؟ لم يكن قادراً على إعانة نفسه بنفسه ، فكيف يستطيع الآخرون مساعدته ؟ كل شيء خداع وشك وألعاب الزمن ، ولا أمل ولا حقيقة إلا بالله . كل مكافأة ونجاح وهم ، إلا المكافأة والنجاح الذان يأتيان من عند الله .

(عبد الله يوسف علي ، ترجمة وتفسير سورة الكهف ، الملاحظات 2380–2385)

لقد ابتعد العالم الحديث الكافر عن الله تعالى بشكل خفي ، يتظاهر بأنه مازال يؤمن بالله ، ولكنه في الواقع ليس مؤمناً .

وتشير قصة الغني والفقير أيضاً إشارة تنذر بالخطر إلى مستقبل البشرية ، وتربطه بعصر الدجال بشكل خاص . إن

عالم الكفر والشرك سوف يفنى بنفس الطريقة التي هلكت بها حديقة الغني ، أي بالكوارث الطبيعية وبالتناقص المستمر لموارد المياه (الآيتان 40 و 41) :

﴿... وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا . أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا .﴾

وأن ربي يستطيع أن يصيب حديقتك بكارثة (محاسبة لك على عملك) من السماء فتصبح تراباً لا ينبت فيه شيء (أي يقضى عليها) . أو يجعل الله مياه الحديقة تغور في الأرض فلا تستطيع استرجاعها (فتموت حديقتك عطشاً) .

لقد بدأ فعلاً تناقص موارد المياه المذكور ، بدأ العد التنازلي .

الغني والفقير في العالم الإسلامي الحالي

تعلمنا سورة الكهف درساً هاماً جداً عن المال في الدنيا . فهي تسلِّم بأهميته ونفعه ، وبأن المال له جاذبية . ولكن المال قد يفنى ، فلا ينبغي اعتباره معياراً لقيام الحياة أو انتهائها . بل إن سورة الكهف تقول إن العمل الصالح هو ما ينجو من مرور الزمن ، ولذلك ينبغي أن نركز انتباه أكبر على السلوك الصالح

من انتباهنا إلى كسب المال (الآية 46) :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، أما الأعمال الصالحة – التي تدوم ثمارها إلى الأبد – فلها قيمة أكبر بكثير في نظر الله ، وهي أساس أفضل بكثير لبناء الأمل .

المال والبنون أشياء عابرة يتوق إليها الناس في الحياة الدنيا ، ولكن هناك شيئاً أفضل لأنه يبقى بعدما ينتهي الزمن الذي نحصيه ، ألا وهو العمل الصالح . وهكذا إذ يزداد فساد العالم في العصر الأخير ، ويحيط الظلام بالعالم ، ينبغي أن يجاهد المؤمن ليكون سلوكه صالحاً .

ويمكن فهم خطة الدجال بوضوح من قصة الغني والفقير ، تلك الخطة التي يتبعها لإفساد البشر والتحكم بهم . فهو يستعمل الربا وسلطة الدولة لإغناء الذين لا يقاومونه ، وإفقار الذين يقاومونه . هذه هي خطة الدجال الاقتصادية التي يحاول من خلالها السيطرة على العالم لصالح دولة إسرائيل الأوروبية

اليهودية . ويبدو أن الخطة ناجحة إلى حد كبير ، ففي كل أنحاء العالم ، نجد أن من يملكون القوة والحكم أغنياء ، وهم يزدادون غنى باستمرار ، بينما يتم إفقار الذين يقاومون حكام العالم ، وهم يزدادون فقراً باستمرار .

أما في العالم الإسلامي الحالي ، فإن الأغنياء يدعمون الحكومات التي أصبحت بدورها عميلة لحكام العالم ، بينما عُزِل عامة الفقراء عملياً عن السلطة وعمليات اتخاذ القرار . وكان هذا مواتياً لمصلحة إسرائيل بشكل عجيب . وهذا هو بالضبط ما تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفعله الدجال :

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ... فقال ... فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ (إلى دين باطل) فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

(صحيح مسلم)

ومما يحير العقول أن موضوع تحريم الربا في الإسلام الذي له أهمية استراتيجية فائقة مازال مهملاً . وحسب خبرة المؤلف لايملك اليوم إلا عدد قليل من المسلمين علماً كافياً عن الموضوع ، والسبب الأكبر لذلك هو أن علماء الإسلام يتجنبون تدريس موضوع تحريم الربا . نأمل أن يساعد كتابا المؤلف القراء على فهم موضوع الربا (وهما "تحريم الربا في القرآن والسنة" و "أهمية تحريم الربا في الإسلام") . وهناك أيضاً تسجيل لمحاضرتنا "الإسلام والنقود" يمكن مشاهدته على موقعنا : www.imranhosein.org .

يفسد المال الذين يعتنقون المادية ، والشهوة إلى المال تفسد أيضاً من يكسبون المال ظلماً . وعندما يصبح هؤلاء الفاسدون النخبة الحاكمة فإنهم يستعملون سلطتهم لظلم الفقراء . إن جماهير المسلمين الذين أصبحوا فقراء في كل أنحاء العالم يعارضون ظلم دولة إسرائيل الأوروبية اليهودية المتزايد باستمرار ، ومن شأنهم أن يصبحوا قوة لا يستهان بها . هذا هو مغزى القصة كما تحكيها سورة الكهف . إن الإيمان بالله تعالى

سوف يتحول إلى قوة لا يمكن تحطيمها وسوف تتغلب في النهاية على قوة إسرائيل وسلطتها . فلا بد من حدوث تصادم في النهاية بين النخبة الحاكمة والجماهير الفقيرة ، وقد تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسلمين سوف ينتصرون على الظلم في الأرض المقدسة من خلال صراع عسكري .

إن النخبة الغنية التي تأكل أموال الناس والتي تتحكم على الدوام بالقوة السياسية ، والقوات المسلحة ، ومؤسسات الدولة الأخرى ، إن هذه النخبة تسعى باستمرار إلى تسوية مع إسرائيل لحماية مصالحها . وهذا مايسمى "بعملية السلام" . لقد تعودوا على السلطة والامتيازات ، ويرعبهم شبح نهوض الإسلام الثوري في الجماهير الفقيرة ، واستيلائه على السلطة ، ثم التعامل معهم كما تعاملت ثورة إيران الإسلامية مع نخبتها التي كانت تأكل أموال الناس . ولذلك ينبع الضغط الشديد لإرضاء إسرائيل من رعب المسلمين الأغنياء الذين يعيشون في خوف مميت من جماهير المسلمين الفقيرة ، ومن عدل الإسلام الصارم الذي لا يساوم .

من الواضح جداً أن الأغنياء الذين يأكلون أموال الناس ،

والذين أفسدهم مالهم لن ينضموا أبداً إلى الجهاد لتحرير المضطهَدين في الأرض المقدسة ، ونعلم بنفس الوضوح أن إخوانهم الفقراء يسرهم الانضمام إلى ذلك الكفاح المسلح .

وقد تبدى هذا الجانب من قصة الغني والفقير مؤخراً بشكل حيوي في صورة الانتخابات الفلسطينية التي أظهرت فيها الجماهير الفقيرة مقدرتها الصامدة على مقاومة الاضطهاد الإسرائيلي بأن صوتوا لحكومة مكونة من حركة المقاومة "حماس" .

وقد استمد الفقراء قوتهم وأملهم من الخطاب التالي الذي وجهه الفقير إلى الغني في القصة في سورة الكهف :

﴿... إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴾

لو أردت أن تقيّمني لوجدت فعلاً أنني أقل منك مالاً وولداً .

﴿ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾

ولكن تَذَكَّرْ أنه ربما سيعطيني ربي شيئاً أفضل من حديقتك ، وأنه سيصيب حديقتك بصواعق (محاسبة لك على عملك) من

السماء فتصبح رملاً أملس (أي يقضى عليها) .

وأخيراً فإن هناك مشكلة أخرى تنشأ عندما يفسد المال القلب ، وهي أن مثل هذا الإنسان يصبح أعمى داخلياً ، وبالتالي لا يستطيع النفاذ إلى الحقيقة في القرآن . وتكشف لنا الآية 57 من سورة الكهف ما يفعله الله تعالى بمثل هؤلاء الناس :

﴿... إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

أي انتبه إلى أننا قد وضعنا غطاء على قلبه يمنعه من فهم الحقائق المنزلة في القرآن ، وجعلنا في أذنيه الصمم ، ورغم أنك تستطيع أن توجه إليه دعوة إلى الإرشادات القرآنية الدالة إلى الحق ، فإنه لن يقبلها أبداً .

ينبغي على المؤمنين الذين يقرؤون هذا الكتاب أن يستجمعوا من البصيرة مايكفي للتعرف على أمثال هؤلاء "الميئوس منهم" والذين يرفضون الإرشادات التي يقدمها علماء الإسلام الراشدون وعباد الله المتواضعون . ويصبح ذلك ضرورة مطلقة عندما يستولي هؤلاء "الميئوس منهم" ، وهم ينتمون عادة إلى النخبة

التي تأكل أموال الناس ، على الجماعات المسلمة ويستعملون الخبث والمكر والخداع (وكثيراً مايستعملون دفتر الشيكات) ليصبحوا قادة معترف بهم رسمياً للجماعة المسلمة . ولاشك أنهم يعتبرون أنفسهم جزءاً من الحرب المعلنة على الإسلام وأنهم يساندون هذه الحرب بكل حماس ، هذه الحرب التي يشنها التحالف الصهيوني المعاصر بين يهود ونصارى أوروبا ، والذي يحكم العالم . ورغم أنهم يعلنون أنهم قادة للمسلمين فهم قد تركوا الإسلام في حقيقة الأمر وانضموا بدلاً عن ذلك إلى التحالف الصهيوني اليهودي النصراني الحاكم . ولنتأمل الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

(الآية 51 من سورة المائدة 5)

أي "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ" بهذا القرآن "لاَ تَتَّخِذُواْ" أولئك "الْيَهُودَ وَ" أولئك "النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ" أي أصدقاء وحلفاء لكم (الذين يصبحون) "بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَن يَتَوَلَّهُم" أي من يصبح

صديقاً وحليفاً لهم "مِّنكُمْ" (من المسلمين) "فَإِنَّهُ" يصبح بذلك واحداً "مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" أمثال هؤلاء .

الفصل السابع : مثل موسى والخضر

في قصة لقاء موسى والخضر عليهما السلام تشرح لنا سورة الكهف معنى كون الدجال "أعور" ، وتعلمنا درساً هاما في نظرية المعرفة ، وهو أن العلم يأتي من مصدرَيْن مختلفَيْن . يسمى العلم الذي يأتي من المصدر الأول "علم الظاهر" ، وهو مبني على العلم التجريبي والاستفسار العقلاني . وعلم الظاهر الذي يشتمل على العلوم المعروفة له حدود ونهاية . أما العلم الذي يأتي من المصدر الآخر فيسمى "علم الباطن" ، وهو علم داخلي حدسي روحاني يعرف أيضاً باسم "التجربة الروحانية" . ويصل هذا العلم إلى الإنسان بطريقة روحانية ، ويأتي من بُعْد من أبعاد الواقع يتجاوز الواقع المادي . ويأتي علم الباطن عادة في صورة أفكار حدسية ، ولكنه يمكن أن يصلنا بطريق الأحلام الصادقة أو الرؤيا كهدية من الله تعالى . وهذا العلم لا نهاية له ، ولا ينفد ، وهو علم خالد ليس مرتبطاً بزمن معين .

وقد أعلن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا العلم عندما يصل إلى المؤمن بواسطة الحلم الصادق أو الرؤيا فإنه يشكل

ذلك الجزء الأخير من النبوة الذي يبقى في الدنيا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد روى الحديث عدد من الصحابة رضي الله عنهم :

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ

(صحيح البخاري)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ .

(صحيح البخاري)

عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : لن يبقى بعدي من النبوة إلا المبشرات فقالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له ، جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة .

(موطأ الإمام مالك)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَمْ يَبْقَ مِنْ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ .

(صحيح البخاري)

ويمكن أيضاً الاطلاع على العلم الروحي في كتب الله تعالى التي نزل بها الوحي على رسله ، ومنها التوراة والزبور والإنجيل والقرآن .

ونحن نعيش اليوم في عصر رفض إلى حد كبير دعوى علم الباطن بأنه علم حقيقي . وهناك مناقشة هامة للموضوع في مقدمة كتابنا "الأحلام في الإسلام" ، وهي مستنسخة في ملحق الكتاب ليستفيد منها القراء الكرام . وهناك مناقشة أخرى هامة في مقالتنا "إقبال ونظرية المعرفة الصوفية ونهاية التاريخ" (أنظر مجموعة المقالات "علامات اليوم الآخر في العصر

الحديث") . ولكن عسى أن تكون أهم مناقشة للموضوع في الفصل الأول والفصل الثاني من كتاب الدكتور محمد إقبال الهام "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام" الذي تمكن قراءته في الرابط :

www.allamaiqbal.com/works/prose/english/reconstruction.

وتشرح قصة موسى والخضر في سورة الكهف الأهمية القصوى لعلم الباطن في عصر الدجال الذي يأتي "ومعه ماء ونار ، فماؤه نار وناره ماء" :

عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ : أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي زَمَنِ فُتِحَتْ تُسْتَرُ أَجْلُبُ مِنْهَا بِغَالاً فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا صَدْعٌ مِنْ الرِّجَالِ وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ تَعْرِفُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْحِجَازِ قَالَ قُلْتُ مَنْ هَذَا فَتَجَهَّمَنِي الْقَوْمُ وَقَالُوا أَمَا تَعْرِفُ هَذَا هَذَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ فَأَحْدَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ إِنِّي أَرَى الَّذِي تُنْكِرُونَ إِنِّي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أَعْطَانَا اللَّهُ أَيَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ فَمَا

الْعِصْمَةُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ السَّيْفُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَاذَا يَكُونُ قَالَ إِنْ كَانَ لِلَّهِ خَلِيفَةٌ فِي الأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَأَطِعْهُ وَإِلَّا فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ *يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ* قَالَ قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ .

(سنن أبي داود)

ومعنى هذا الحديث أنه في عصر الدجال سيكون الظاهر مختلفاً جداً عن الواقع . فطريق الجنة الذي يرمز له "الماء" سوف يبدو وكأنه "نار" من كثرة الخداع . ولن ينفذ إلى باطن (أي إلى داخل) حقيقة الواقع عند معاينة "الماء" و "النار" إلا الذين أنعم الله تعالى عليهم بالعلم الداخلي الروحي الحدسي الذي يصل إلى واقع العالم في عصر الدجال . وأولئك فقط سوف يفقهون مداهمات الدجال بواسطة علم حقيقي فلا ينخدعون بها . ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو باستمرار "اللهم أرني الحق حقاً" (أي أرني حقيقة الأشياء لكي لا أنخدع بظاهرها) .

إن العلم الروحي في هذا العصر ينتقل مباشرة إلى قلب المؤمن . عندما يكرس المؤمن نفسه لدراسة القرآن ويجاهد لينفذ إلى داخل حقيقة وواقع كلام الله ، فعسى أن ينعم عليه الله بعلم يتفتح باستمرار حسب نظام معين وينبع من القرآن الذي لا تنفد عجائبه . وتتأسف سورة الكهف على رفض البشر أن يسلكوا ذلك الدرب الذي يوصلهم إلى علم القرآن الذي لا نفاد له :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾

(الآية 54 من سورة الكهف 18)

أي لقد أوردنا في هذا القرآن وجوهاً عديدة لكل أنواع الدروس النافعة للبشر ، ولكن أكثر عادات الناس انتشاراً هي الجدل ، فلا يتجه إلى القرآن لتحصيل ذلك العلم الذي لا ينفد .

لقد وجه الله تعالى هذا التنبيه مرات عديدة في القرآن الكريم ، ولكن العناد والتكبر والفخر وحب الجدل وعيوب بشرية أخرى عديدة تتدخل لتجعل الإنسان يرفض القرآن ، أو يرفض الإقبال عليه كمصدر لا نفاد له لعلم يتفتح باستمرار حسب نظام معين

.

فبدلاً عن الاستسلام المتواضع والسعي الجاد لمعرفة الحق ، يصر الإنسان على الجدل ، ويرفض مرة بعد أخرى دعوى القرآن بأنه كلام الله تعالى الموحى ، ومصدر للعلم لا نفاد له . فبدلاً من استعمال العلم المشتق من ظاهر الأشياء كوسيلة يستعين بها على فهم العلم الذي أوحاه الله ، تتهال على الإنسان من الأنترنت علوم ظواهر الأشياء وكأنها لا نفاد لها . وهذا يؤدي إلى جفاف العلم الروحي الداخلي في قلبه .

تصور قصة موسى والخضر عليهما السلام بشكل حي الفارق بين من يرى بعين واحدة ، فهو قادر على البصر الخارجي فقط ، ومن يرى بعينين اثنتين ، فهو قادر على البصر الخارجي والبصر الداخلي في نفس الوقت .

اسم الخَضِر أو الخِضْر عليه السلام من الخُضرة ، وهناك حديث يبين من أين جاءت هذه التسمية :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ

تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ .

(صحيح البخاري)

وفي رأينا أن لقب الخضر يشير إلى أن الذين أنعم الله عليهم بالبصر في كلا العينين ، الداخلية والخارجية ، ومنهم الخضر عليه السلام ، سيمتلكون علماً طازجاً دائم الخضرة ، يعيد الشباب الروحي على الدوام . وتأثير هذا العلم على الناس هو إحياء القلب الميت . وينبت العلم كشتلات خضراء جديدة في عقل وقلب من يستمتع بالربيع الدائم ، ولا ينفد هذا العلم أبداً .

هناك حديث طويل يقص قصة موسى والخضر عليهما السلام . ولما كانت هذه الرواية ذات أهمية لفهم القصة القرآنية ، سنبدأ بإيرادها كاملة :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ

الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ { فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا } فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فَقَالَ هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ { قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا } وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ { أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا } فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى { ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا } رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي { مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا } قَالَ يَا

مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ { قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا إِلَى قَوْلِهِ إِمْرًا } فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا { لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا } فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ مُوسَى { أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ } مَائِلًا أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلَّا مَرَّةً قَالَ قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ { لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا } قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا .

(صحيح البخاري)

والآن نسرد مثل موسى والخضر عليهما السلام كما ورد في سورة الكهف . يبدأ النص بالآية 60 وينتهي بالآية 82 :

الآية 60

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

واذكر ماحدث عندما قال موسى عليه السلام لخادمه : لن أتوقف عن السفر حتى أصل إلى ملتقى البحرين ، وإلا سأستمر

في السفر سنين طويلة .

الآية 61

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾

ولكن لما وصلا إلى ملتقى البحرين ، نسيا سمكتهما ، فدخلت في طريقها في البحر كأنها في نفق .

الآية 62

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾

فلما تجاوزا ملتقى البحرين ، قال موسى عليه السلام لخادمه : أحضر غداءنا ، لقد أرهقنا هذا السفر .

الآية 63

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾

فقال الخادم : أتذكر لما أوينا إلى الصخرة ؟ فقد نسيت أن

أخبرك عن الأمر الغريب الذي حدث للسمكة ، وما سبب النسيان إلا الشيطان ، لقد سلكت السمكة طريقاً عجيباً (أو غريباً) في البحر !

الآية 64

﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾

فقال موسى عليه السلام : هذا ما كنا نبحث عنه . فرجعا يتتبعان آثار أقدامهما .

الآية 65

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

فوجدا عبداً من عبادنا ، هو الخضر عليه السلام ، أعطيناه رحمة خاصة من عندنا وعلمنا علماً خاصاً من عندنا (أي ألهمناه علماً خاصاً آتياً مباشرة من ذات الله) .

الآية 66

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾

فقال موسى للخضر عليهما السلام : هل تسمح لي أن أتبعك لكي تعلمني بعض الأشياء من العلم والهداية وطريق الحقيقة التي علمها الله لك ؟

الآية 67

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾
فقال الخضر عليه السلام : بالتأكيد ، لن تستطيع أن تصبر عليَّ .

الآية 68

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾
وكيف تصبر على أشياء لا تعلم عنها علماً كاملاً ؟

الآية 69

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾

فقال موسى عليه السلام : ستجدني إن شاء الله صابراً ، ولن أعصى أمرك في أي شيء .

الآية 70

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

فقال الخضر عليه السلام : إذا تبعتني فلا تسألني عن أي شيء حتى أشرحه أنا لك بنفسي .

الآية 71

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾

فمضيا في الطريق حتى ركبا في سفينة فأحدث الخضر عليه السلام ثقباً فيها . فقال موسى عليه السلام : هل ثقبتها لكي تغرق أهلها ؟ لقد فعلت شيئاً منكراً (أو خبيثا أو قبيحاً) !

الآية 72

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

فقال الخضر عليه السلام : ألم أقل إنك بالتأكيد لن تستطيع الصبر علي ؟

الآية 73

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾

فقال موسى عليه السلام : لقد نسيت فلا تحاسبني على النسيان ! ولا تكن قاسياً علي في أمري هذا !

الآية 74

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾

ثم مضيا في الطريق ، حتى التقيا بغلام ، فقتله الخضر عليه السلام . فقال موسى : هل قتلت شخصاً بريئاً لم يقتل أحداً ؟ لقد فعلت شيئاً منكراً (أو خبيثا أو قبيحاً) !

الآية 75

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا ﴾

فقال الخضر عليه السلام : ألم أقل لك أنت إنك بالتأكيد لن تستطيع الصبر علي ؟

الآية 76

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ

بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾

فقال موسى عليه السلام : إذا سألتك عن أي شيء بعد الآن ، فلا تبقني في صحبتك . لقد تلقيت مني من الأعذار مايكفي !

الآية 77

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾

فمضيا في الطريق حتى التقيا بأهل مدينة ، فسألاهم الطعام ، فرفضوا أن يطعموهما . ثم وجدا في المدينة جداراً يكاد أن ينهار ، فأقامه الخضر عليه السلام . فقال موسى عليه السلام : لو أردت ، لطلبت منهم أجراً على ذلك !

الآية 78

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

فقال الخضر عليه السلام : هذا فراق بيني وبينك . سأخبرك بتأويل تلك الأمور التي لم تستطع أن تصبر عليها .

الآية 79

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

أما السفينة فكان يملكها فقراء يعملون في البحر ، فقررتُ أن أعطبها لأنه كان هناك ملك يستولي بالقوة على كل سفينة صالحة .

الآية 80

﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما بعصيانه وكفره .

الآية 81

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾

وكان القصد أن يبدله ربهما بغلام أكثر صلاحاً وأقرب إلى أن

يكون مصدر رحمة لهما .

الآية 82

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

وأما الجدار فكان يملكه غلامان يتيمان في المدينة ، وكان مدفوناً تحته كنز لهما ، وكان أبوهما رجلاً صالحاً ، فأراد ربك أن يكبرا وتكتمل قوتهما لكي يستخرجا كنزهما كرحمة من عند ربك . وما فعلت ذلك طوعاً من تلقاء نفسي . فهذا تأويل تلك الأمور التي لم تستطع أن تصبر عليها .

العواقب الوخيمة للعمى الداخلي ورسالة الخضر إلى المسلمين في هذا العصر

هذه القصة من سورة الكهف ، السورة التي تحمينا من فتنة الدجال ، معناها أن عصر الدجال سوف يشهد ظهور نظرية

معرفة لاتعترف إلا بالعلم الذي يعتمد على الملاحظة الخارجية . وكل من يعتنق نظرية المعرفة التي تنتج علماً مُعَلْمَناً (مبنياً على العلمانية) سوف يصبح داخلياً أعمى الروح . عندما لا يقبل الإنسان إلا مصدراً واحداً للعلم ، ما هو في الخارج ويمكن ملاحظته ، يصبح في النهاية أعور ، لا يبصر إلا بالعين الخارجية ، ويؤدي ذلك إلى العمى الداخلي أو العمى الروحاني . وعندما يكون الإنسان أعمى في داخله وروحه ، فهو أيضاً أصمّ روحياً وسيغادر ذكر الله قلبه . وعندئذ يصبح الدين أمراً شكلياً فقط ، بالاسم فقط والصورة الخارجية ، خالٍ من المادة الداخلية . ويذكر القرآن هذه الظاهرة التي يتصف بها عصر الدجال :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

(الآية 179 من سورة الأعراف 7)

أي لقد خلقنا كثيراً من الجن والإنس ليكونوا في نار جهنم . لهم

قلوب لا يفهمون بها ، وعيون لا يبصرون بها ، وآذان لا يسمعون بها . إنهم كالدواب ، بل إنهم أشد ضلالاً من الدواب ، لأنهم لا ينتبهون إلى الإنذار .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(الآية 110 من سورة الأنعام 6)

أي ونحن أيضاً سنغير قلوبهم وعيونهم (فتصبح مخبولة) ، بالضبط كما رفضوا الإيمان بالقرآن في أول مرة [فغيروا ما فطرت عليه قلوبهم] ، وسنتركهم في تجاوزاتهم يتيهون بلا انتباه .

﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾

(الآية 7 من سورة البقرة 2)

أي استحقوا بكفرهم في الدنيا عقوبة الختم على القلوب والأسماع وتغشية الابصار ، واستحقوا في الآخرة عذاباً عظيماً .

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾

(الآية 101 من سورة الكهف 18)

أي الكفار هم الذين كانت أعينهم مغطاة عن ذكر الله وكانوا عاجزين عن السمع [وكل ذلك استحقوه بكفرهم] .

إن عصر الدجال هو عصر العلم التجريبي وهو العلم الذي لا يأتي إلا من الملاحظة الخارجية . وسوف يُعَلْمِنُ هذا العصر العلم إلى حد استنتاج أنه ليس هناك واقع يتجاوز الواقع المادي ، ويعانق كفر المادية . ورأينا الراسخ هو أننا الآن نعيش في عصر الكفر هذا ، عصر الدجال ، الكافر الكبير .

لقد استنبط موسى عليه السلام حكمه على أساس الملاحظة الخارجية فقط في كل الأحداث الثلاثة من القصة ، وكان حكمه خاطئاً في كل منها . فقد استنكر إعطاب السفينة ، ولكن الواقع كان أن إعطابها أنقذها من استيلاء الملك عليها . والمعنى الخطير للبشرية هو أنهم أيضاً يمكن أن يخطئوا في حكمهم ويدفعوا ثمناً باهظاً لأخطائهم . وعلى المسلمين أن يبحثوا عن مرشد كالخضر عليه السلام ممن أنعم الله عليهم بالعلم الداخلي

[البصيرة] ، وإذا وجدوه فعليهم أن يتبعوه .

وما فعله الخضر عليه السلام في هذه الحادثة يتجاوز وقاية أملاك أصحاب السفينة . لقد أرسل تحذيراً شديداً إلى المؤمنين الذين يعيشون في عصر الدجال الحديث أن يقوا مالهم وأملاكهم وحتى حياتهم من اللصوص وقطاع الطرق والخاطفين وظلم الحكام ، وذلك بأن تكون أملاكهم الظاهرة (سفينتهم) غير جذابة لأنظار اللصوص . وكذلك علمنا درساً هاماً عن القانون وهو أن القانون الأخلاقي هو أعلى من غيره من القوانين . فإذا لزم أن يطيع المؤمن القانون الأخلاقي ولو خالف ذلك قانون الدولة ، فعلى المؤمن أن يفضل القانون الأخلاقي .

واستنكر موسى عليه السلام قتل الغلام مع أن الغلام كان سيصبح كافراً يهدد بكفره إيمان أبويه ، فقد تخلص الخضر من كافر وأنقذ إيمان أبويه المؤمنين داعيا الله أن يبدلهم برحمته بابن غيره يكون لهم مصدر راحة بال وسعادة .

وما فعله الخضر عليه السلام في هذه الحادثة يتجاوز وقاية إيمان الأبوين . لقد أرسل تحذيراً شديداً إلى المؤمنين بأنهم إذا واجههم إلحاد العالم الكافر الذي صنعه الدجال ، فعليهم أن

يقتدوا بالخضر عليه السلام في قتل الغلام بأن يقطعوا أنفسهم عن عالم الكفر داعين الله تعالى أن يبدله بعالم أفضل يستطيع المؤمن فيه أن يعيش آمناً على إيمانه . والمعنى الثاني لقتل الغلام هو أن عليهم أن يقطعوا براعم الكفر في نفوسهم قبل أن تنمو وتورق وتزهر وتصبح ثمار كفر كامل .

ورأى موسى عليه السلام أن أهل المدينة الذين رفضوا ضيافة المسافر الجائع المتعب ، لم يستحقوا أن يصلح الخضر عليه السلام جدارهم المنقض مجاناً ، بل كان عليهم أن يدفعوا أجراً على ذلك . ولكن الواقع أن الخضر عليه السلام منع بإصلاح الجدار أهل المدينة من الاستيلاء على الكنز المدفون تحت الجدار ، فحمى بذلك الكنز لليتيمين لكي يستلما الكنز وينتفعا به عندما يكبران .

وما فعله الخضر عليه السلام يتجاوز إعادة بناء الجدار لحماية كنز اليتيمين . لقد أرسل تحذيراً قوياً إلى المؤمنين الذين يواجهون الحرب على الإسلام التي صنعها الدجال ، أنهم كلما شهدوا محاولات لتخريب بناء الإسلام ، فعليهم أن يقتدوا بالخضر عليه السلام بأن يعيدوا بناء الإسلام حتى تبقى كنوز

الحق الإسلامية محفوظة للجيل القادم . ونحن نرى أن خير طريقة لإعادة بناء وإصلاح مبنى الإسلام الذي ينهار بسرعة في العصر الحديث هي إنشاء آلاف من القرى الإسلامية في الأرياف النائية ، فتكون هذه القرى ككنز اليتيمين المدفون تحت الجدار ، والنقطة الهامة هنا هي أن الله

تعالى سيحفظ هذه القرى من الأذى كما حفظ كنز اليتيمين في القصة الرمزية في سورة الكهف .

الدجال وموسى والخضر

من هو الدجال ؟ وما أهمية موضوع الدجال في الإسلام ؟ ولماذا يسمى بالمسيح الدجال ؟ وكيف ترتبط قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورة الكهف بموضوع الدجال ؟ سنحاول الآن أن نجيب على هذه الأسئلة الهامة والمحيرة .

تتضح أهمية موضوع الدجال في الإسلام وضوحاً تاماً من الأحاديث التي أمر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالاستعاذة من الدجال في الصلاة . تأمل الأحاديث التالية المروية عن عائشة وأبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله

عنهم :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ .

(صحيح مسلم)

ومن الغريب حقاً أن يتوجب على المسلمين أن يستعيذوا بالله من الدجال في صلاتهم ، وأن يظلوا في نفس الوقت في حالة جهل مطبق عن موضوع الدجال رغم أن القرآن والحديث أعطياهم علماً عن الدجال ؟ وهذه بالضبط هي الحالة العامة للمسلمين اليوم ، إما الجهل والغفلة ، وإما الحيرة والتشوش في موضوع الدجال .

ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بالتعوذ بالله من

الدجال فقط ، بل أمرهم بالابتعاد عن الدجال لشدة خطره . وكذلك أخبرنا بكل دقة بطبيعة الخطر الأعظم للدجال : وهو عجزنا عن فهم واقع العالم في عصر الدجال الذي سيكون هدفه الأول إفساد مقدرة الناس على التعرف على الحق وعلى دين الحق . سوف يتمسك الناس بعمى وعناد بالباطل والحقائق المفسَدة ، ويرفضون الحقيقة السليمة التي لم يفسدها أحد وهي موجودة نصب أعينهم في القرآن . وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال سوف يداهم العالم بأسره ويستهدف البشرية كلها :

عَنْ أَبِي الدَّهْمَاءِ قَالَ سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ هَكَذَا قَالَ .

(سنن أبي داود)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ

الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ .
(صحيح البخاري)

ولأن فتنة الدجال ذات طبيعة خاصة ، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أن فتنة الدجال هي أكبر فتنة يفتن الله بها الناس من عهد آدم عليه السلام وحتى اليوم الآخر .

وأخبرنا أيضاً أنه عندما يقترب الدجال من إنهاء مهمته في الأرض ، فسوف يبعث الله الإمام المهدي عليه السلام وهو من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن الدجال سوف يهاجمه ليقضي عليه ، ولكن الله سوف ينزل عيسى عليه السلام من السماء ليقتل الدجال . وعندئذ فقط ينتهي ليل الفتنة والشر ، ذللك الليل الطويل الرهيب .

وقد قدمنا الأدلة في كتابنا "القدس في القرآن" (الكتاب المرافق لهذا الكتاب) على أن لحظة عودة عيسى بن مريم عليهما السلام قد اقتربت الآن تمام الاقتراب ، وهذا يعني أن خروج الدجال إلى العالم قد حدث منذ زمن طويل جداً .

إن مؤلف هذا الكتاب مقتنع بأن الدجال هو العقل المدبر من

وراء خروج الحضارة الغربية العلمانية المادية ، وفكرها الحديث ، ونمط حياتها الذي تصيغه وتعيد صياغته بانحطاط متزايد . إن تلك الحضارة هي التي تخضع البشرية إلى الفتنة الكبرى التي حذرنا منها النبي صلى الله عليه وسلم . ويتميز هذا الكتاب بإلحاحه على أن الوقاية من فتنة الدجال التي تَعِدُ بها سورة الكهف المؤمنين لا تأتي من مجرد قراءة السورة ، بل من دراستها والاستفادة من دروسها .

إن هذا الكتاب يحذر من أن طريقة الحياة الحديثة الأوروبية النصرانية والأوروبية اليهودية ، والتي تبنتها بلا تمحيص أكثرية البشر ، بما فيهم أكثر المسلمين ، هي طريقة غادرة خادعة وقادرة على تضليل أفضل المؤمنين . إننا نعيش في عصر أصبح فيه إيمان عامة المسلمين ضعيفاً مهترئاً . و بالتأكيد فإن إحدى الطرق العديدة للتصدي لهذه الكارثة هي أن نوجه الانتباه إلى سورة الكهف وأن نحاول أن نستعمل السورة لأجل فهم عالم اليوم .

عمى الدجال الداخلي – أعور لا يرى إلا بعين واحدة

لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عى أهم خواص الدجال : إنه أعور لا يرى إلا بعين واحدة ، فيقتصر علمه على علم الظاهر أو العلوم التجريبية . وهو أعور العين "اليمنى" وهذا يرمز إلى العمى الداخلي [عمى القلب] . ولذلك لا يؤمن الدجال بعلم الباطن أو العلوم الروحية :

قَالَ ابْنُ عُمَرَ انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَأْتِيَانِ النَّخْلَ الَّذِي فِيهِ ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ النَّخْلَ طَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ ابْنَ صَيَّادٍ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْزَةٌ فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ أَيْ صَافِ وَهُوَ اسْمُهُ فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ . وَقَالَ سَالِمٌ قَالَ ابْنُ عُمَرَ ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ .

(صحيح البخاري)

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ .

(صحيح البخاري)

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنْ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ .

(صحيح البخاري)

عَنْ نَافِعٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيْ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً

وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ .

(صحيح البخاري)

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَكِّيُّ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَا وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِيسَى أَحْمَرُ وَلَكِنْ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ وَأَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ قَالَ الزُّهْرِيُّ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(صحيح البخاري)

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ

الْوَدَاعِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ وَقَالَ مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ثَلَاثًا إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ أَلَا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثًا وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمْ انْظُرُوا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ .

(صحيح البخاري)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا فَقِيلَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَرِ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا فَقِيلَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ .

(صحيح البخاري)

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ .

(سنن أبي داود)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ فِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(صحيح البخاري)

عين الدجال العوراء كالعنبة الطافية

عَنْ نَافِعٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيْ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ

الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ... (صحيح البخاري)

وصف عين الدجال العمياء بالعنبة الطافية يشير إلى أن عمى الدجال الروحي والعمى الروحي لكل من يتبعونه هو عمى واضح تماماً بالنسبة للذين يرون بعينين اثنتين ، واضح كوضوح العنبة الطافية . ولا يعجز عن التعرف على العمى الروحي – أي لا يعجز عن التعرف على عين تبدو كالعنبة الطافية – إلا من هو نفسه أعمى روحياً !

وينبغي أن يفهم وصف عيني الدجال بشكل رمزي لا حرفي ، ويدل على ذلك بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتبه أن يكون غلام يهودي في المدينة هو الدجال مع أن ذلك الغلام لم يكن أعور حرفياً . ثم إن تميماً الداري رضي الله عنه التقى بشخص الدجال ثم أبلغ النبي صلى الله عليه وسلم بما شهده من لقاء الدجال ووصفه ولم يذكر عينه ، ولو كان أعور العين اليمنى حرفياً لكان ذلك من أعجب صفاته ظهوراً وأحراها بالذكر .

لفظة "كافر" مكتوبة بين عيني الدجال

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ فِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(صحيح البخاري)

هذا الحديث البالغ الأهمية يضع لفظة "كافر" بين عيني الدجال ويدل بذلك على أن تأويل استهداف الدجال للإنسانية المرتبط بعينيه له علاقة بنظرية المعرفة ، أي نوعية العلم ومصدر هذا العلم ، وطريقة الحصول على العلم . بما أن "الكفر" بين عينيه فإن له علاقة بالبصر أو القدرة على الرؤية والحصول على العلم . ثم إن الحديث يوضح تماماً أن كفر الدجال وكفر عصر الدجال سيكون متجليا للناظرين وليس مستوراً ، ولا يعجز عن التعرف على هذا الكفر إلا من هو أعمى ، فالكفر بين العينين ، أي بين مقدرة الرؤية الخارجية ومقدرة الرؤية الداخلية .

ومن الصفات المميزة للحضارة الغربية الأوروبية النصرانية اليهودية هو الكفر الذي ينتج عن علمنة العلم أي رفض

البصيرة الروحية كمصدر للعلم . لا يعترف الغرب اليهودي النصراني بعلم إلا علم ما يمكن ملاحظته بوسائل البصر الخارجية ، فهو موجود في العالم المادي . والغرب لا يخفي أبداً هذه الخاصية المميزة ، فكأن لفظة "كافر" مكتوبة بين عينيه . لا نقول إن الحضارة الغربية الحديثة هي الدجال ، بل نقول إنها من صنع الدجال وهي تخدمه . وهذا يعني أن كل من يقلدون الحضارة الغربية الحديثة سوف يصبحون أتباعاً للدجال ، وفي نهاية الأمر سوف يعتنقون كفره ويحطمون إيمانهم بالله . وقد أعلن الله تعالى أن 999 من كل 1000 سوف يَفْسُدون بهذه الطريقة ويدخلون النار .

ليس الله تعالى بأعور

الأعور في هذا الموضوع هو من يرى بعين واحدة هي العين الخارجية . وكل من يتبع الدجال وطريقة الحياة التي ينشئها سوف يصبح أعور . وعندما يعلن الحديث أن الله ليس بأعور فالمقصود أن الله قادر على رؤية الظاهر (المرئي) والباطن (المخفي) ، فهو يرى ظاهر الأمور وواقعها ، شكلها ومادتها .

وهذا مايعلنه الله عن نفسه في القرآن :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(الآية 3 من سورة الحديد 57)

عندما سئل موسى عليه السلام "من أعلم الناس ؟" فأجاب "أنا" ، أخطأ لأنه لم يعترف بأن كل العلم يأتي من عند الله تعالى ، وأن الله هو أعلم الكائنات . ولم يعترف بأن علمه ضئيل جداً متناهي الصغر إذا قيس بعلم من هو أعلم من كل مخلوق . وهذا بالضبط ما يحدث عند علمنة العلم .

الفصل الثامن : قصة ذي القرنين

أعطى أحبار يهود المدينة ثلاثة أسئلة للعرب من قبيلة قريش ليطرحوها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليختبروه ، هل هو نبي حقيقي من أنبياء الله تعالى أم لا . وكان أحد الأسئلة عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها . وفي رأينا أراد الأحبار من هذا السؤال أن يكتشفوا مدى علم النبي صلى الله عليه وسلم بإحدى علامات الساعة الكبرى ، وهي يأجوج ومأجوج .

وقبل أن نحاول شرح موضوع ذي القرنين ومعناه بالنسبة للعصر الحديث ، سنسجل فيما يلي جواب القرآن على سؤال الأحبار عن الرجل الطواف ، وهو يبدأ بالآية 83 من سورة الكهف وينتهي بالآية 101 :

الآية 83

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾

ويسألك أحبار اليهود عن ذي القرنين ، قل : سأقرأ عليكم شيئاً

من قصته .

الآية 84

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾

لقد أنشأنا له قوة في الأرض ، وأعطيناه الطرق والوسائل التي تجعله قادراً على تحقيق أية غاية من غاياته .

الآية 85

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

فتبع طريقاً أو طريقة من هذه الطرق .

الآية 86

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾

حتى وصل إلى مغرب الشمس وجدها تغرب في عين معكرة بالوحل (البحر الأسود حسب تفسير الجلالين) ، ووجد بقربها قوماً ، فقلنا له : يا ذا القرنين ، لك السلطة إما أن تعاقبهم أو تعاملهم برأفة .

الآية 87

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾

فقال : من يفعل جريمة فسوف نعاقبه ، ثم يُرجَع إلى ربه فيعاقبه عقاباً لم يسمع به أحد من قبل .

الآية 88

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

وأما من يؤمن ويعمل الصالحات ، فسوف نكافئه مكافأة طيبة ، وستكون واجبات الناس أمثاله سهلة حسب أوامر سلطتنا .

الآية 89

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

ثم تبع طريقاً أو طريقة أخرى .

الآية 90

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ

نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾

حتى وصل إلى مطلع الشمس ، فوجدها تطلع على قوم لم نرزقهم ما يسترون به أنفسهم من الشمس .

الآية 91

﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾

فتركهم على ماهم عليه ، وقد فهمنا ما وجدهم عليه فهماً كاملاً ، وفهمنا سبب تصرفه بهذه الطريقة .

الآية 92

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾

ثم تبع طريقاً أو طريقة أخرى .

الآية 93

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾

حتى وصل إلى أرض بين جبلين ، فوجد تحت الجبلين قوماً لا يفهمون من لغته إلا شيئاً قليلاً لا يذكر .

الآية 94

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾

فقالوا له : يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج يخربون أراضينا بأعمال الاضطهاد والفساد الشديديْن ، فهل تأذن لنا أن ندفع لك جزية لكي تبني حاجزاً بيننا وبينهم ؟

الآية 95

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾

فقال : إن القوة التي أقامها لي ربي هي أفضل من الجزية ، ولكن أعينوني بالأيادي العاملة ، وسوف أنشئ حاجزاً قوياً بينكم وبينهم .

الآية 96

﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾

قال : أحضروا لي قطعاً من الحديد . ثم ملأ به الفجوة بين طرفي الجبلين الشديدَيْ الانحدار ، ثم قال : انفخوا بمنافيخكم . حتى أصبح الحديد أحمر كالنار ، ثم قال : أحضروا لي النحاس المنصهر لكي أصبه عليه .

الآية 97

﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾

فأصبحوا عاجزين ، لا يستطيعون أن يتسلقوه ، ولا يستطيعون أن يحفروا فيه نفقاً .

الآية 98

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾

فقال : هذا رحمة من ربي ، ولكن عندما يحدث ما وعد به ربي ، فسوف ينسفه نسفاً ، ووعد ربي حق .

الآية 99

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾

وفي ذلك اليوم ، سوف نجعلهم يفورون كالأمواج فوق بعضها البعض (أي سينهار العالم في فوضى) ، وسوف ينفخ في البوق الكبير ، وسوف نجمعهم مع بعض جمعاً كاملاً (أي سوف يشهد العالم عولمة كبيرة بحيث تصبح الأرض كالقرية الواحدة يكون فيها كل البشر مرتبطين ومتصلين ببعضهم البعض) .

الآية 100

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾

وفي ذلك اليوم سوف نقدم جهنم للكافرين في عرض مفتوح .

الآية 101

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾

إنهم الكفار الذين كانت عيونهم تحت غطاء تجاه ذكر الله [القرآن] وكانوا عاجزين حتى عن الاستماع إليه .

هيمنة ذي القرنين – نظام ذي القرنين العالمي

لفظة "ذي القرنين" قد تعني من له قرنان كقرني الثور أو من له قرنان "كالقرون الأولى" ، أي الأجيال أو العصور أو صفحات من كتاب التاريخ ، وهذه المعاني الأخيرة هي المعاني المستعملة في القرآن الكريم للفظة "القرن" وجمعها "القرون" ، ولم يستعمل معنى قرن الثور في القرآن . ولذلك نقول إن ذا القرنين هو من يكون له تأثير في صفحتين مختلفتين من صفحات كتاب التاريخ . ونحن متأكدون أن الهدف الحقيقي من سؤال أحبار اليهود عن ذي القرنين هو قصة يأجوج ومأجوج التي هي من العلامات الكبرى لليوم الآخر . ولذلك نرى أن القرنين هما عصران : عصر في الماضي البعيد ، وعصر قادم يكون العصر الأخير أو عصر الفتن . ونرى أننا نعيش الآن في العصر الأخير ، ولذلك فإن لهذه القصة ارتباطاً مباشراً بمصير المسلمين الذين يعيشون اليوم في العالم .

من هو ذو القرنين ؟ إن المؤلف لم يجد ضرورة ملحة للجواب على السؤال عن كون ذي القرنين شخصية تاريخية أم لا . بل نرى أن نركز على تصرف ذي القرنين في استعمال السلطة والقوة ، وهنا يكمن جوهر إرشادات الله تعالى من هذه القصة .

تعرفنا سورة الكهف في هذه القصة بموضوع القوة والسلطة الحاكمة وعلاقتها بالإيمان بالله تعالى . لقد كان ذو القرنين يملك إيماناً قوياً بالله ووهبه الله القوة والقدرة على تحقيق أي هدف يريده . فكان لذلك قادراً على إنشاء مايسمى في العلاقات الدولية "Pax Qarnain" أي هيمنة ذي القرنين أو نظام ذي القرنين العالمي . ولب القصة الرمزية يشكل وصفاً لنظام عالمي أنشأه في يوم من الأيام رجل عنده إيمان بالله تعالى ("Pax Islamica") . ويقدم لنا القرآن وصفاً بالغ الأهمية لذلك النظام العالمي .

هيمنة ذي القرنين والرحلة إلى الغرب

سافر ذو القرنين غرباً حتى بلغ بحراً عكراً قاتم اللون ورأى الشمس تغرب في هذا البحر بالمعنى الشاعري . والمعنى أنه وصل إلى أبعد مايمكن أن يصل إليه من جهة الغرب .

ووجد هناك قوماً من الأقوام ، وخيره الله تعالى في استعمال سلطته إما ليعاقبهم وإما ليكافئهم . وكان رد فعل ذي القرنين

جوهر ومادة الهيمنة الإسلامية أو نظام العالم الإسلامي . فأعلن أنه سوف يستعمل سلطته وقوته لمعاقبة الظالم ، وأنه عندما تنتهي معاقبته للظالم فإن هذا الظالم سوف يواجه عقوبة إضافية من ربه عندما يرجع إليه .

وهذا هو نوع النظام العالمي الذي يريد رب العالمين من البشرية أن تقيمه وتحافظ عليه ، فهذا النظام العالمي الذي يقيمه أصحاب الإيمان بالله تعالى سوف يشهد تناسقاً أساسياً بين نظام السماء العلوي ونظام العالم السفلي . والمعنى أنه عندما يستأصل الظلم ويقام العدل فسوف تنعم البشرية بحالة مباركة يسود فيها السلام والسعادة .

هيمنة ذي القرنين والرحلة إلى الشرق

بعد وصف الرحلة إلى الغرب تصف لنا سورة الكهف رحلة ذي القرنين إلى الشرق أو "مطلِع الشمس" . ووجد هناك قوماً قال عنهم الله تعالى : ﴿ ... لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ . وتصف القصة رد فعل ذي القرنين بعبارة يصعب تفسيرها

صعوبة بالغة : كان الجزء الأول من رد الفعل لفظة "كذلك" ، وقد تعني "كذلك وجدهم ، وكذلك تركهم (ولم يزعجهم)" . أما الجزء الثاني من رد الفعل فهو يصف كمال إدراك وفهم ذي القرنين لحالة أولئك الناس .

فأي ستر أعطاه الله تعالى للناس من دونها عدا أنهم لم يكن عندهم ستر ؟ وكيف نفسر رد فعل ذي القرنين الغامض على حالتهم ؟

نرى ، والله أعلم ، أن سورة الكهف تهيء المؤمنين هنا لعصر الفتن حيث يؤدي جشع العالم الحديث في استغلال موارد الأرض وخاصة النفط إلى إستخفاف صارخ بحقوق الإنسان . سوف تسلب مثلاً أراضي ومساكن أقوام بدائية من تحتهم ، وما كانوا يملكون إلا الأرض والمسكن ، لأن من تحت أرضهم نفطاً !

ولكن ذا القرنين أدرك أن شخص الإنسان وحقوقه أهم من الموارد الطبيعية ، فترك أولئك الناس وشأنهم ، ولم يزعجهم في أملاكهم وأرضهم ومنازلهم . وعندما يأتي العصر الأخير ، ويضع الربا عامة الناس في فقر مدقع ، فعلى المؤمنين أيضاً

أن يحترموا حقوق الأشخاص وحقوق الإنسان عندما يريدون مثلاً أن يستفيدوا من موارد الأرض .

هيمنة ذي القرنين والرحلة الثالثة الغامضة

بعد وصف الرحلتين إلى "مشارق الأرض ومغاربها" ، أي بعد الإجابة تصريحاً على سؤال أحبار اليهود كما ورد حرفياً ، يصف القرآن رحلة ثالثة هي الهدف الحقيقي من سؤال الأحبار ، رغم أنهم لم يصرحوا بذلك .

وأثناء وصف الرحلة الثالثة يرد ذكر اسم يأجوج ومأجوج للمرة الأولى في القرآن الكريم في سورة الكهف . وفتح يأجوج ومأجوج على العالم هو من العلامات الكبرى لليوم الآخر . وواضح أن علم علامات اليوم الآخر موضوع لاتصل إليه عقول البشر ، بل هو موضوع خاص بأنبياء الله تعالى الكرام .

تخبرنا السورة أن ذا القرنين وجد في رحلته الثالثة قوماً يعيشون في مضيق بين سلسلتي جبال ، وأنهم شكوا إليه من فساد يأجوج ومأجوج في أرضهم ، وطلبوا منه أن يبني جداراً يكبح

يأجوج ومأجوج ويحمي الناس من شرهم ، وعرضوا عليه أجراً لبناء الجدار .

وفي الحديث أن يأجوج ومأجوج جماعتان من البشر من ذرية نوح عليه السلام . وهم مفسدون في الأرض كما ذكرنا أعلاه . وفي الحديث القدسي : "إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان (لاقدرة) لأحد بقتالهم" . فهم يستطيعون تخريب السلام في الأرض بقوتهم التي لا يمكن للبشر قهرها . فسلوكهم معاكس لسلوك ذي القرنين .

بنى ذو القرنين جداراً من الحديد وغلفه بالنحاس المنصهر ، وسد الجدار المضيق الجبلي بشكل كامل ، وبذلك كبحت يأجوج ومأجوج لأنهم عجزوا عن تسلق الجدار أو اختراقه . ثم أعلن ذو القرنين أن بناء الجدار وكبح يأجوج ومأجوج بواسطته هو تعبير عن رحمة الله ، ولكنه أخبرنا أن الله هو الذي سوف يخرب الجدار ويفتح يأجوج ومأجوج على العالم عندما يأتي العصر الأخير .

واختتمت السورة القصة بوصف ما سيشهده العالم عندما تفتح يأجوج ومأجوج على العالم (الآيات 99 – 101) :

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا . وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا . ﴾

عندما تفتح يأجوج ومأجوج في النهاية على العالم فإن البشر سوف يشهدون ظهور نظام عالمي معاكس لما كان يمكن للإسلام أن يقدمه للبشر . فسوف تكون القوة والسلطة الحاكمة بأيدي أناس ليس عندهم إيمان بالله تعالى ، وبدلاً عن استعمال السلطة لتحرير المظلومين ومعاقبة الظالمين ، فإن العصر الكافر أساساً سيشهد استعمال السلطة للتركيز على ظلم واضطهاد الذين يؤمنون بالله تعالى ويعملون الصالحات .

وقد قدمنا الدليل في الفصل العاشر من كتابنا "القدس في القرآن" على أن الله تعالى فتح يأجوج ومأجوج على العالم أثناء حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أعطى القرآن للمؤمنين علامة ذات شأن كبير يمكنهم بواسطتها رؤية الدليل القاطع على أن يأجوج ومأجوج قد فتحت وأنهم قد استولوا على العالم ، فهذا الدليل يحدد هوية يأجوج

ومأجوج كسلطة حاكمة للعالم ، وهذا الدليل هو في الآيتين 95 و96 من سورة الأنبياء 21 :

﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ . ﴾

فبعدما تفتح يأجوج ومأجوج ، وينتشرون في كل حدب وصوب ، فسوف يرجع أهل مدينة (قرية) إليها بعد أن دمرها الله تعالى وحرمها عليهم . ولا تذكر الأحاديث عن يأجوج ومأجوج إلا مدينة واحده دمرها الله تعالى ، وهي القدس . ولذلك استنتجنا أن القدس هي فقط المدينة المذكورة في الآيتين أعلاه ، وليس غيرها .

ومن هذا الاستنتاج وتعيين المدينة ينشأ الآن استنتاج آخر ، وهو أن عودة اليهود إلى الأرض المقدسة لم يكن من الممكن أن تحدث إلا بتدخل يأجوج ومأجوج في الأمر ، وبعبارة أخرى ، فإن النظام الأوروبي العالمي الذي يحكم العالم الآن من واشنطن هو نظام يأجوج ومأجوج العالمي .

ثم يستمر القرآن الكريم فيحذرنا من أن وقوع هذه الأحداث

سوف يتزامن مع العد التنازلي لليوم الآخر (الأية 97) :

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ .

عندما تفتح يأجوج ومأجوج فسوف ينتشرون في كل مكان ، ولما كانوا لا يقهرهم بشر ("لا يدان لأحد بقتالهم" ، الحديث) ، فهذا يعني أنهم سوف يسيطرون على العالم بأسره ، ولأول مرة في تاريخ البشر ، سوف تحكم جماعة من الناس البشرية كلها . وهذا بالضبط هو عالمنا الحالي .

وسوف يكون نظام يأجوج ومأجوج العالمي نظام فساد (أي ظلم وشر) . وتعرف سورة الكهف خاصيتيْن من خواص الفساد الذي سيمارسه ذلك النظام العالمي ، وهما مضادتان للخاصيتيْن المُعَرّفتَيْن لنظام ذي القرنين العالمي .

الفصل التاسع : بداية سورة الكهف

أمر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بقراءة الآيات العشر الأوائل من سورة الكهف ، وأعلن أن ذلك سيكون وقاية لهم من فتنة المسيح الدجال (أي المعاناة والبلاء التي يحاول الدجال بها إخراج الناس من الإسلام) :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ .

(صحيح مسلم)

"فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ."

(صحيح مسلم)

والآن سوف ندرس هذه الآيات العشر لنجد جوهر الرسالة التي تقدمها بشأن الدجال وخطره على المؤمنين . وأول ما نلاحظه أن هذه الآيات العشر (إذا لم نعتبر البسملة أول آية) تنتهي بدعاء ، وإليكم الآن القصة التي تشرح هذا الدعاء .

كان هناك فتية يمتلكون إيماناً قوياً بالله تعالى برغم حداثتهم . وكانو يعيشون في عصر يشن حرباً على الإسلام ، ويستعمل

القوة لإخضاع المؤمنين لنظام حياة كافر بالله . وقد قاوم الفتية هذا الضغط حتى وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الهروب من مساكنهم ومدينتهم لكي يحافظوا على إيمانهم بدين الإسلام . لقد التجأوا إلى كهف (والكهوف تكون عادة في الجبال) ودعَوُا الله تعالى أن يعينهم ويحميهم ويهديهم ، وهذا هو دعاؤهم الذي تختتم به الآيات العشر الأوائل من سورة الكهف (الآية 10) :

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

أي دعَوُا الله تعالى أن يعطيهم رحمة خاصة من نفسه ، وأن يدبر أمورهم بنفسه ، بطريقة صحيحة طبعاً .

وهذا الدعاء هو المفتاح الذي يستعمله المسلم للحصول على حماية الله تعالى من الدجال في لحظات الفتنة والخطر والاختبارات الصعبة . فمثلا ، عندما يسافر المسلم بالطائرة ، وتهبط في مطار ، ويقترب من ضابط هجرة واضح العداوة للمسلم وللإسلام ، ويرى الضابط يتهيأ لمضايقة المسلم ، فهذا هو الدعاء الذي تنبغي قراءته في هذه المناسبة . وإذا سمح الوقت ، فليقرأ الآيات العشر الأوائل من سورة الكهف بعد

الدعاء وقبل مواجهة ضابط الهجرة .

وإليكم الآن الآيات العشر الأوائل من سورة الكهف وتعليقاتنا عليها التي نحاول فيها ربطها بموضوع الدجال . أما من يرى أن البسملة هي الآية الأولى ، فالآية التالية هي الآية الثانية :

الآية الأولى

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾

إن أكمل الثناء واجب لله تعالى لأجل إنزاله القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأنه لم يسمح لأحد ، ولن يسمح لأحد ، أن يحدث في القرآن أي اعوجاج ، أو التواء ، أو انحراف عن طريق الحق ، أو تشويه ، أو مواربة ، أو تناقضات مع القرآن نفسه ، أو تناقضات مع الحق الموجود خارج القرآن ، إلخ .

إن هذه الآية تحدث مواجهة حامية مع اليهود لأن الله سبحانه وتعالى يثني على نفسه لأجل إنزاله القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن النبي العربي صلى الله عليه وسلم

لم يكن يهودياً ، وبالتالي فإن هذا الإجراء الإلهي (إنزال القرآن على رجل عربي) قد وضع اليهود في مأزق مليء بالإحباط . فقد اتهم القرآن اليهود بأنهم حرفوا نص التوراة بأن أعادوا كتابتها بأيديهم (الآية 59 من سورة البقرة 2) :

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾

أي إن الذين تصرفوا تصرفاً شريراً (أي فعلوا الخطأ عمداً) قد بدلوا كلام الله الذي نزله عليهم (أي حرفوا التوراة) فأنزلنا عليهم طاعوناً من السماء عقاباً على إصرارهم على الإثم .

والذين أفسدوا نص التوراة بالعوج جعلوا المؤمنين بالتوراة المحرفة عاجزين عن قبول نبي غير يهودي . وذلك بأن حرفوا معنى فكرة اختيار الله لبني إسرائيل للنبوة ، فصارت هذه العبارة في زعمهم تعني أن اليهود هم النخبة الروحية للبشر ، والتي قدر الله لها أن تحكم العالم في نهاية التاريخ . أما باقي البشر من غير اليهود فهم في زعمهم ذوو أرواح رديئة خسيسة كما هو واضح للعقلاء إذا ما قيسوا باليهود ، فمن المستحيل أن يتصور يهودي نزول وحي الله على رجل غير يهودي (أحد الأغيار) ،

ومن المستحيل أن يتصور يهودي أن يختار الله نبياً غير يهودي . وقد جعل تحريف التوراة من المستحيل خاصة أن يُقْبل عربي كنبي ، لأن العرب من ذرية إسماعيل عليه السلام ، ولأن التوراة حرفت لتعلن تصريحاً أن عهد الله كان مع إسحق عليه السلام ، وأنه ليس لإسماعيل عليه السلام عهد مع الله ، بل شتموا إسماعيل عليه السلام بقولهم الكاذب الذي أدخلوه إلى التوراة ، وهو أن إسماعيل عليه السلام "يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ" (سفر التكوين 16:12) .

ورغم ذلك فقد كان واضحاً لأحبار اليهود في مدينة يثرب (المدينة المنورة) في جزيرة العرب ، كان واضحاً بشكل يثير الإحباط أن محمداً العربي صلى الله عليه وسلم كان فعلاً نبياً حقيقياً من أنبياء الله . واشتد اليهود غيظاً من أن الله تعالى اختار رجلاً عربياً لتلقي الوحي الأخير ، لأنهم إذ يعترفون به كنبي حقيقي فهم مضطرون إلى الاعتراف بأنهم حرفوا التوراة ، وبالتالي فإن ادعاءهم بالأفضلية العرقية لليهود على العرب سوف يفقد أساسه المزعوم في الكتاب المقدس .

وقد أدرك القرآن الكريم هذا الإحباط عند اليهود وأجابهم عليه

(الآية 90 من سورة البقرة 2) :

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

ما أتعس الثمن الذي باعوا به أرواحهم ! لقد كفروا بالوحي الذي أنزله الله ، وفعلوا ذلك بسبب حسدهم الوقح لأن الله ذو الفضل العظيم أنزله على أي عبد يشاء من عباده (أي محمد العربي صلى الله عليه وسلم) ، فجلبوا بذلك لأنفسهم غضباً فوق غضب ، وسوف تكون عقوبة من يرفضون الإيمان عقوبة إذلال .

فالسورة تشير إشارة واضحة من بدايتها إلى أنها موجهة إلى اليهود الذين رفضوا محمداً صلى الله عليه وسلم ورفضوا القرآن الكريم . فينبغي أن ندرك من ذلك أن هؤلاء القوم هم الهدف الرئيسي للدجال .

وتلفت هذه الآية الأنظار إلى كل تحريف حدث للكتب المقدسة التي أنزلت قبل القرآن ، وخاصة التوراة . فأهم مفاتيح لغز

الدجال التي سوف تساعدنا على فهمه وفهم الهجمات التي سيشنها على الذين يستهدفهم ، هذه المفاتيح موجودة في هذه النصوص الملفقة وخاصة تلك التي في التوراة .

ثم إنه لما كان القرآن خالياً من العوج ، وسيبقى إلى الأبد خالياً من العوج ، فالقرآن أفضل وسيلة لفضح هذه التحريفات التي طرأت على الكتب السابقة ، وخاصة تحريفات التوراة . فمن أهم الأمور أن يستعمل القرآن لتعيين كل تحريفات الكتب السابقة . وهذا يستلزم أن ندرس القرآن دراسة عميقة ، وأن ندرس الكتب السابقة المحرفة كالتوراة دراسة عميقة كذلك .

فإذا لم ندرس التوراة ونكتشف التغييرات التي أدخلتها أيدي البشر إليها ، فلن نستطيع أن نفهم ونشرح نشوء عصر يسود فيه الربا في كل مكان ، وكذلك الإدمان على الكحول والمخدرات . ولن نستطيع أن نفهم العلاقة بين الإدمان على الكحول ونهاية التاريخ . ولن نستطيع أن نفهم نشوء اقتصاد قائم على الربا ونقود ورقية كاذبة سوف تستبدل قريباً بنقود ألكترونية لا نراها ولا نلمسها ، ونظام بنوك قائم على الربا يسيطر على الحياة الاقتصادية في كل مكان .

يقول الحديث :

"لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم (أي أحكام القرآن) وآخرهن الصلاة ."

(رواه الإمام أحمد في مسنده ، ورواه غيره ، وصححه الحاكم ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب .)

ومن علامات اقتراب اليوم الآخر (نهاية العالم) التي تنبأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتجاهل الناس حكم تحريم الخمر الذي في القرآن ، فينتشر تعاطي الخمور وغيرها من المخدرات :

"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ ."

(متفق عليه ، البخاري ومسلم)

ومن الواضح تماماً لمن يسلكون درب الجهاد الروحي للوصول إلى مرتبة الإحسان (وقد يسمى هذا الدرب تصوفاً) أننا اليوم نعيش في ذلك العصر الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعصر الأخير أو آخر الزمان . فإن انتشار الإدمان على الكحول في أمريكا مثلاً وصل إلى نسبة 1 من 6 بيوت وهو في ازدياد مستمر . وبقية البشرية يبدو أنها سوف تفعل غداً ماتفعله أمريكا اليوم ، وهذا أيضاًً علامة من عند الله ، ولكن أكثر الناس غافلون عن آيات الله (الآية 92 من سورة يونس 9) :

﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾

وسبب لعنة الإدمان على الكحول هو تغيير كلام الله تعالى في الكتب السابقة . وعمل هذا التغيير لحذف تحريم الخمر وكذلك الربا . ووصل خبث الذين غيروا التوراة إلى حد اتهام كاذب لنبي كريم من الصالحين بأنه شرب الخمر حتى السكر ثم زنا بابنتيه وهو سكران فحملتا من أبيهما . فما أوقح هذا التلفيق ! كان هذا شتماً فاحشاً لنبي الله لوط عليه السلام ، وكان كفراً بالله تعالى (أنظر سفر التكوين في التوراة) . وقد رد الله على

هذا الإفك بتبرئة لوط عليه السلام من التهمة الفاحشة (الآيتان 74 و 75 من سورة الأنبياء 21) :

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

أي كان لوط عليه السلام سليم الحكم على الأمور فلا يعقل أن يفعل الفاحشة كما كان يفعل قومه .

ولما غيروا كلام الله تعالى ، زرعوا نبتة سوء ، فكان رد فعل الله تعالى أن عاقبهم بخلق الدجال وإخراجه إلى العالم ، فهو العقل المدبر من وراء الاستراتيجية التي ينتج عنها نمو نبتة السوء في العصر الأخير لتصبح شجرة شر عملاقة لا يستطيع أن يقطعها أحد . ولو كان مالكولم إكس حياً لربما قال إن الإدمان على الكحول والمخدرات المنتشر في الحياة الغربية العلمانية إنما هو "رجوع الدجاج إلى الحظيرة لتحضن البيض" (أي حصاد ما زرعوه من قبل) كما قال عندما اغتالوا الرئيس كندي .

وقد بينا في مكان آخر أن أمر الإدمان مماثل لأمر الربا . فقد حرم الله أكل الربا (وهو إقراض المال بالفائدة) ، فغيروا كلام الله وحرفوا التوراة لتقول أنه حرام على المؤمن (أي من هو من بني إسرائيل) أن يقرض بالفائدة لمؤمن آخر ، ولكن يحل له أن يقرض بالفائدة للأغيار (من غير بني إسرائيل ، سفر التثنية 23:19–20) :

"لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَّا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا ، لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا، لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا."

وكان تغيير كلام الله تعالى جريمة تجاه الكتاب المقدس ، وارتكاب شرك ، ومثالاً للعوج الذي تشير إليه سورة الكهف في بدايتها . وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من عاقبة هذه الجريمة إذ تنبأ أنه سيأتي عصر يعانق فيه الربا البشرية جمعاء عناقاً فتاكاً :

"عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يأتي زمان على أمتي من لم يأكل الربا نال من غباره . "

(الإمام أحمد ، أبو داود ، النسائي ، وابن ماجه)

ونختتم هذا التعليق بملاحظتنا أن الآية الأولى من سورة الكهف حذرت المؤمنين تحذيراً حاسماً ، وهو أن صلب موضوع هجمات الدجال على البشرية هو الآيات المحرفة من الكتب السابقة كالتوراة ، فعلى المؤمنين أن يعرفوا هذه التحريفات ويدرسوها لكي يتعرفوا على هجمات الدجال ويردوا عليها برد فعل مناسب .

الآية الثانية

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾

أي وجعل القرآن مستقيماً واضحاً لا خطأ فيه لكي ينذر به الذين يرفضون أن ينصاعوا لأوامر القرآن وإرشاداته وهديه التي تدوم أصالتها وتوثيقها ووقايتها من التحريف إلى أبد الآبدين ، لكي ينذرهؤلاء الذين يرفضون القرآن المحفوظ تماماً بأن عقوبة رهيبة سوف تأتيهم من عند ذات الله مباشرة ، وسوف تصيبهم هذه العقوبة الآن بلا تأخير ، وأيضاً ليقدم البشرى للمؤمنين بالقرآن الذين يسلكون سلوكاً صالحاً بأن مكافأة ممتازة سوف

تأتيهم مباشرة من ذات الله كذلك .

لقد أعلن الله الحكيم العليم أن القرآن الكريم خالٍ من أي تحريف ، أو تناقض بين آياته ، أو تناقض بين الآيات وواقع العالم ، وأعلن أيضاً أنه هو بنفسه سوف يحفظ القرآن الكريم من أي تحريف ، وهذا الإعلان له نتائج هامة جداً ومنذرة بالسوء للبشرية كلها . لقد حرف الأشرار الكتب السابقة ، ولكنهم لن يستطيعوا تحريف القرآن (الآية 9 من سورة الحجر 15) :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

أي تأكد أن الله هو الذي أنزل دروس القرآن على دفعات وبالتدريج ، وتأكد أن الله هو الذي سوف يحرسه ويحفظه من التحريف .

وبعبارة أخرى فإن القرآن برهان قائم يشهد لعباد الله الذين يؤمنون به ، ويشهد أيضاً على الذين يكفرون به . ثم إن الله تعالى ينذر الآن بعقوبة رهيبة ، ولكنه لا يحدد من سيعاقب وكيف ولماذا ، فهذا يعني أن القرآن وحده هو الذي سوف يشرح هذه التفاصيل . ولكن الآية الثانية من سورة الكهف تبلغ رسالة

أمل ومكافأة للذين عندهم إيمان (بالقرآن خاصة) وسلوكهم صالح ، وخير رد فعل على فتنة الدجال هو الإيمان بالقرآن وضبط السلوك باتباع سنّة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي "كان خلقه القرآن" .

والآية الثانية تعني أيضاً أنه لن ينجو من هجمات الدجال إلا المؤمنون الذين يتبعون هدي القرآن الكريم ، فينبغي أن يكون قادة المؤمنين في هذا العصر من عباد الله تعالى الصالحين الذين أنعم الله عليهم بأكبر علم ممكن بالقرآن ، وأن يكونوا قادرين خاصة على فهم وتطبيق هدي القرآن المخصص للعصر الحديث .

الآية الثالثة

﴿ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾

أي سيمكثون في تلك المكافأة المباركة إلى ما بعد نهاية الزمان .

إن المكافأة التي تنتظر الذين ينجون من عاصفة الدجال بفضل إيمانهم وسلوكهم الصالح هي مكافأة خالدة ، أي الجنة . ولكن

الهجوم سوف يشتد على من يعيشون حياة الإيمان والسلوك الصالح إذ يشن الدجال حرباً على الدين بشكل عام ، وعلى الإسلام بشكل خاص ، وستكون حياتهم شديدة الصعوبة كما تبين الأحاديث التالية :

"أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد العنزي أخبرنا عيسى بن نصر أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا عتبة بن أبي حكيم حدثني عمرو بن جارية اللخمي أخبرنا أبو أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت : يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال : أية آية ؟ قلت : قول الله عز وجل (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورأيت أمرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر ، فمن صبر فيهن قبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله . قال

ابن المبارك : وزادني غيره قالوا : يا رسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم ."

(الترمذي ، ابن ماجه ، وأبو داود)

"عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر ."

(الترمذي)

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم هجمات الدجال بأنها أكبر فتنة تمر على الناس منذ عهد آدم عليه السلام وحتى اليوم الآخر :

"حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ رَهْطٍ مِنْهُمْ أَبُو الدَّهْمَاءِ وَأَبُو قَتَادَةَ قَالُوا كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ نَأْتِي عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ إِنَّكُمْ لَتُجَاوِزُونِي إِلَى رِجَالٍ مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي وَلَا أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ : مَا (ليس) بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ (أي مخلوق ذو فتنة) أَكْبَرُ مِنْ (فتنة) الدَّجَّالِ ."

(صحيح مسلم)

ولذلك كان من عدل الله أن قدر أن تكون أكبر المكافآت من نصيب الذين يصبرون أكبر صبر في تمسكهم بإيمانهم عند مواجهة أشد الفتن على الإطلاق .

الآيتان الرابعة والخامسة

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

أي إن هذا القرآن قد جاء أيضاً لكي ينذر الذين يقولون إن الله أصبح أباً لابن له . لا هم ولا آباؤهم يمتلكون علماً بذلك (أي بأن الله أصبح أباً لابن له) . بل هي كلمة بالغة الخبث يتلفظون بها ، وإن مايقولونه ليس إلا كذباً .

وقد علق محمد أسد رحمه الله في تفسيره الحديث الشهير على هذه الآية كما يلي :

إن أكثر المفسرين القدماء وأوائل المترجمين حسب علمي يرجعون الضمير في "به" إلى قولهم "اتخذ الله

ولداً" ، فيصبح معنى "مالهم به من علم" أنهم ليس لهم علم بحدوث ذلك . ولكن هذا التفسير ضعيف لأن غياب العلم بالحدث لا يعني بالضرورة نفي الواقعة المذكورة نفياً موضوعياً . فواضح أن الهاء في "به" عائدة إلى الله ، فيصبح المعنى أن الذين يدعون هذا الادعاء السخيف ليس عندهم علم حقيقي بالله تعالى ، لأنهم ينسبون إلى الكائن الأعلى ما لا يجوز نسبه إلا إلى مخلوق لا يتمتع بالكمال كالخالق . ويدعم هذا التفسير بوضوح ما قاله الطبري وكذلك البيضاوي عن الآية .

لقد خص الله تعالى هنا بالذكر من بين التحريفات المعوجة للكتب السابقة قولهم "اتخذ الله ولداً" . ويذكر القرآن اعتقاد اليهود بأن عزيراً ابن الله ، واعتقاد النصارى بأن عيسى المسيح هو ابن الله (الآية 30 من سورة التوبة 9) :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

أي هذه الادعاءات التي يتفوهون بها مشابهة لأقوال كفار سبقوا اليهود والنصارى في ماضي الزمان ، فهم يستحقون أن يهلكهم الله بسبب اعوجاج عقولهم .

وهذا القول شرك ، وهو من كبائر الذنوب ، وهو الذنب الوحيد الذي أعلن الله تعالى أنه لن يغفره (إذا مات المرء على الشرك قبل أن يتوب عنه وتقبل توبته) . وذكر الشرك في بداية سورة الكهف له أهمية خاصة في فهم خطر الدجال لأن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من أن الدجال سيفتن أمته بالشرك وأنه سوف يصعب التعرف على ذلك الشرك كما تصعب ملاحظة "دبيب النمل على الصفا (الصخرة السوداء) في الليلة الظلماء" (عن عائشة رضي الله عنها في مستدرك الحاكم) .

إن أعظم أسلحة الدجال هو مقدرته على الخداع ، فهو سيخفي شركه بحيث يصعب أن يتعرف عليه أحد ، وقد رفع شرك الدجال رأسه القبيح في كل أنحاء العالم وسقطت البشرية كلها في حبائل شركه إلا عباد الله تعالى الراشدين . فهم يشركون إذ يصوتون في انتخابات دولة يعلن دستورها "إن هذا الدستور هو القانون الأعلى لدولة كذا وكذا ، ويلغى كل قانون أخر (بما في

ذلك شرع الله) يخالف هذا الدستور بقدر مخالفته له" (وهذا ما يعلنه أيضاً دستور دولة ترينيداد وتوباغو التي ولد فيها المؤلف)
.

ومن المدهش أن الكذب على الله تعالى كنسبة الولد إليه يمكّن الدجال من حبك أكاذيب كبرى تقع البشرية الساذجة في حبائلها ، كالأكاذيب التي نسجها أعوان الدجال عن "أسلحة الدمار الشامل في العراق" ، أو "خطر إيران النووي" ، أو "مسئولية العرب والمسلمين عن اعتداء 11 سبتمبر في أمريكا" والاعتداء الذي تلاه في لندن . ويقول القرآن ﴿ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الآية 9 من سورة البقرة 2) ، فهم يصدقون الأكاذيب التي يلفقونها . وعلى المسلمين الذين يعيشون في هذا العصر أن ينتبهوا إلى تحذير النبي صلى الله عليه وسلم :

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ ."
(صحيح مسلم)

وأكبر الأكاذيب هي التي تحاك لتجعل دولة إسرائيل الأوروبية اليهودية الدجالة الدولة الحاكمة للعالم .

الآية السادسة

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾

أي هل ستعذب نفسك حتى الموت أسفاً عليهم إذا رفضوا الإيمان بهذا الكلام (القرآن) ؟

وهذا تعليق محمد أسد رحمه الله على الآية في تفسيره :

هذا السؤال من باب البلاغة وهو موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي كانت تحزنه العداوة التي تثيرها رسالته عند مشركي مكة ، ويتحسر على ما ينتظر أرواحهم في الآخرة . ولكن السؤال موجه أيضاً إلى كل من عرف الحق واقتنع به وهو يرى عدم اكتراث مجتمعه بالحق .

هناك ثلاثة أصناف من البشر : من بلغهم الحق وقبلوا به ، ثم عملوا به . فهؤلاء مؤمنون وعدهم الله بمكافأة هي الجنة . ثم إن

هناك من بلغهم الحق فرفضوه ، ثم بلغ بهم الرفض إلى حيث ختم الله على قلوبهم تجاه الحق ، فلا تنفع معهم أية موعظة ، ومهما تكرر الوعظ فلن يعودوا إلى الحق . فهؤلاء هم الكفار ، وقد حُرِّمَتْ عليهم الجنة . وأخيراً هناك من لم يبلغهم الحق ، أو بلغهم الحق فلم يقبلوه ولم يرفضوه ، أو قبلوا بالحق ولكن لم يعملوا به ، إلخ . فأمرهم إلى الله إما أن يعذبهم أو يعفو عنهم .

يذكر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بأن هناك من ختم الله على قلوبهم ومهما تكرر الوعظ فلن يعودوا إلى الحق . وهذه أيضاً تذكرة للمؤمنين الذين يشهدون في عصر الدجال عدداً متزايداً من أهل النار ، ومهما تكرر الوعظ فلن يكفوا عن عداوتهم للإسلام . إن سورة الكهف تنصح هنا المؤمنين عن طريق السؤال الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يلفتوا انتباههم بعيداً عن العالم الذي يصر على رفض الإسلام ، وأن يركزوا بدلاً عن ذلك على المحافظة على إيمانهم . وإليكم كلام الله الجميل الذي يرشد المؤمنين في هذا الصدد (الآية 28 من سورة الكهف 18) :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

أي لتكن روحك (قلبك) راضية بالتعلق بالذين يتجهون بالدعاء المخلص صباحاً ومساء إلى ربهم راجين وجهه الكريم ، وداوم على مصاحبتهم . ولا تسمح لعينيك أن تتحرفا عنهم وتتجذبا إلى بذخ الدنيا وبريقها . ولا تطع ، أي لا تخضع لقيادة وسلطة الذين جعلنا قلوبهم مهملة لذكر الله ، فهم يتبعون ما يحبونه ، ويتجاوزون في تصرفاتهم أقصى حدود المعقول .

سوف يزداد عدد الرافضين للإسلام باستمرار في العصر الأخير ، وسوف ينضمون طوعاً إلى الحرب على الإسلام ، أو ينضمون لهذه الحرب تحت الإغراء . وعلى المسلمين أن يدركوا خطورة الحياة في وسط هذه البيئة المعادية ، وأن يركزوا على المحافظة على الأمن الشخصي (الذي يشتمل على الزوجة والأطفال) والإيمان ، أكثر من تركيزهم على التعلق بوظيفة ذات مرتب كبير في دار إبليس . وخير طريقة لذلك هي الاقتداء بذي القرنين وبناء جدار يحميهم من نظام يأجوج

ومأجوج العالمي ، وهذا الجدار الخفي هو ما يحيط بالقرى الإسلامية في الأرياف النائية .

الآية السابعة

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

أي لقد جعلنا ما على الأرض زينة باهرة ساحرة لكي نختبر البشر لنرى أيهم أفضل سلوكاً .

ويعلق محمد أسد :

المعنى الحرفي : جعلنا ما على الأرض زينة لها لكي نختبرهم (أي كل البشر) . والمعنى أن الله يجعل الناس يكشفون عن أخلاقهم الحقيقية باتخاذ مواقف أخلاقية أو غير أخلاقية تجاه السلع المادية والمنافع التي تعرضها الدنيا عليهم . وبعد المزيد من التحليل يتبين من هذا النص أن الدافع الحقيقي لرفض الناس أن يؤمنوا برسالة الله الروحية هو على الأغلب تعلقهم المفرط والأعمى بخيرات الدنيا ، ويخالط هذا التعلق افتخارهم بما يظنون

أنها إنجازاتهم .

تنذر سورة الكهف المؤمنين في هذه الآية بأن الدجال سوف ينصب أفخاخا تحضهم على اشتهاء خيرات الدنيا . وعندما يتعلق القلب بخيرات الدنيا تعلقاً مفرطاً يسهل على هذا القلب أن يبدأ بالانسحاب من ذكر الله ذكراً دائماً . ولا ينجو من فتنة الدجال إلا المؤمن الذي لا يتوقف أبداً عن ذكر الله تعالى أثناء سعيه في أمور الدنيا . فالمعبود هو أهم ما في القلب مهما أنكر اللسان ذلك ، وقلب المؤمن بالله تعالى هو قلب يكون فيه الله تعالى هو الأهم . ومن كانت الدنيا في قلبه هي الأهم فهو يعبد الدنيا عملياً .

لا يستعمل الدجال المال فقط في محاولته لإفساد إيمان المؤمنين ، بل يدعوهم ليؤمنوا في نهاية الأمر أنه لا واقع إلا ماهو مادي (المادية) ، وهذا يؤدي عملياً إلى الكفر بالله . إن اعتناق الذين يسيطرون على العالم اليوم للكفر بالله هو في ازدياد مستمر ، بل إن عددا متزايداً من أهل بريطانيا يشهرون عملياً كفرهم بالله ، وهذا يدل على نجاح الدجال نجاحاً كبيراً ومذهلاً .

الآية الثامنة

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾

أي يؤكد الله تعالى للناس أنه سيحول الأرض وماعليها في النهاية إلى تراب لا نبات فيه .

كما أن الله جعل من الماء كل شيء حي ، فسيكون الماء سبباً في هلاك كل الأحياء . وسيخدع الدجال الناس ليصنعوا هلاكهم بأنفسهم إذ يبذرون ويسرفون في استعمال الماء فيصبح الماء نادراً .

وترتبط أهمية الماء والدور الذي سيلعبه الماء في العصر الأخير ارتباطاً قوياً بيأجوج ومأجوج الذين تذكرهم سورة الكهف بالتفصيل . وسوف نعالج هذا الموضوع إن شاء الله في كتابنا الرابع من رباعية سورة الكهف ، وهو كتاب عن يأجوج ومأجوج .

وفي النهاية ستصبح الأرض صحراء مليئة بالغبار ، وتعود سورة الكهف إلى موضوع الماء مرة بعد أخرى (الآيتان 45 و 46 من سورة الكهف 18) :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

وقد علق عبد الله يوسف علي في ترجمته وتفسيره تعليقاً جميلاً على هاتين الآيتين (الملاحظتان 2386 و 2387) :

إن ماء المطر خير في ذاته ، ولكنه لا يدوم ، ولا يبنى عليه أساس قوي . وسرعان ما تمتصه الأرض فتنتج الأعشاب والنباتات ويظهر الازدهار ، لفترة معينة فقط . ثم سرعان ما تفسد هذه النباتات وتصبح قشاً يابساً ، تبعثره أضعف النسمات في أي اتجاه وكأنه لا قيمة له . لقد ذهب الماء ، وكذلك النباتات التي استعارت الماء لتقدم عرضاً جريئاً باذخاً – قصيراً . وهكذا الحياة الدنيا إذا ما قورنت بالحياة الداخلية الروحية الحقيقية التي تتجه إلى الآخرة . ولا تبقى إلا قدرة الله ، مسيطرة على كل شيء . وكل ما عدا ذلك زائل ، ولكن للأعمال

الصاحة قيمة دائمة عند الله ، وهي خير مكافأة ، لسببين :

1. تتبع الأعمال الصالحة من أنفسنا بفضل الله ، فهي في ذاتها مكافأة على إيماننا .

2. تكون الأعمال الصالحة أساساً لآمالنا في الحصول على المكافآت الروحية العليا في الآخرة .

الآيتان التاسعة والعاشرة

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

أي لما كانت الحياة الدنيا مجرد اختبار ، هل تعتقد حقاً أن حادثة أصحاب الكهف والكتب المقدسة التي أخذوها معهم إلى الكهف هي أعجب من آياتنا الأخرى ؟ لقد أوى الفتية إلى الكهف وقالوا : يارب أنزل علينا رحمة خاصة من عندك ، وأصلح لنا أمورنا بنفسك إصلاحاً رشيداً .

تبتدئ سورة الكهف هنا بقصة أصحاب الكهف التي خصصنا لها فصلاً كاملاً أعلاه . وبما أن أول آيتين من القصة هما في العشر الأوائل التي تقي من الدجال ، فهذا يعني أن قصة أصحاب الكهف لها علاقة بالدجال .

وحتى لو كانت البسملة أول آية فإن قصة أصحاب الكهف تبدأ عند الآية العاشرة من السورة .

إذاً ينبغي أن تعتبر قصة أصحاب الكهف مصدراً لأهم الإرشادات والخطط الاستراتيجية التي تقدمها السورة إلى المؤمنين بشأن السلوك المناسب للتعامل مع فتنة المسيح الدجال .

الفصل العاشر : نهاية سورة الكهف

أمر النبي صلى الله عليه وسلم من يواجه الدجال أن يقرأ عليه أول عشر آيات من سورة الكهف فإن ذلك يعصمه ويقيه من فتنة الدجال . ولما كانت لبداية السورة هذه الأهمية الاستراتيجية فإنه يحسن بنا أن ندرس نهاية السورة أيضاً عسى أن نجد فيها مزيداً من الإرشاد عن موضوع الدجال . والآن نستعرض آخر آيات السورة :

الآية 100

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾

أي في ذلك اليوم (عندما تبلغ العولمة أوجها ، فسوف يشهد البشر ما لم يسبق له مثيل من الصراعات والحروب والقتل العشوائي والانتحار إلخ) سوف نعرض جهنم عرضاً مفتوحاً أمام أعين الذين أنكروا الحق .

عندما بنى ذو القرنين الجدار ، نجح في كبح يأجوج ومأجوج وتخليص الناس من إفساد (تخريب) هذه القبائل في الأرض . ولكن ذا القرنين حذر من أن الله سبحانه وتعالى سوف يهدم

ذلك الجدار في المستقبل ، وعندما يحدث ذلك فسوف يبدأ العصر الأخير . وعندئذ يبدأ حدوث عشر علامات كبرى للعصر الأخير في العالم حسب نظام معين ، ومن هذه العلامات فتح يأجوج ومأجوج .

وقد ذكرنا سابقاً نوعية العالم الذي سنشهده عندما تفتح يأجوج ومأجوج ، أي أنه معاكس تماماً لنظام ذي القرنين العالمي . فعندما تستند السلطة الحاكمة على أسس كافرة بالله في جوهرها ، فإن هذه السلطة سوف تستعمل قوتها لظلم البشر ، وخاصة منهم الذين يملكون إيماناً بالله تعالى ويسلكون سلوكاً صالحاً . وينتج عن هذا النظام العالمي صراع ضد نظام السماء العلوي بدلاً عن الانسجام معه . وقد وصف القرآن فطرة الله في خلقه بأنها تتصف بالسلام التام والانسجام .

أما نظام يأجوج ومأجوج العالمي الذي سينشأ في العصر الأخير فسوف يتصف بالفوضى والغوغائية الممثلة في قوله تعالى "وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ" ، وعندئذ ينفخ في الصور (ولكن لا يسمعه إلا من في السماء) . وعندما ينفخ في الصور يكون ذلك إشارة إلى بداية يوم القيامة أو اليوم الآخر ،

وهذا بدوره إشارة إلى بداية عملية قدرها الله تعالى تجمع الناس جميعاً في مجتمع يأجوج ومأجوج العالمي الكافر أساساً . وأفراد هذا المجتمع العالمي يكونون نسخاً طبق الأصل عن يأجوج ومأجوج ، ومصيرهم كلهم إلى نار جهنم . وهذه هي بالضبط عملية التغيير المنذر بالسوء والتي يصفها البشر اليوم "بالعَوْلَمَة" ! وقد أخبرتنا سورة الكهف أن المجتمع العالمي المتصف بعموم الكفر سيشهد صراعاً وفوضى وغوغائية ، وسيكون كالجحيم نفسها معروضة أمام العالم .

وسينجح يأجوج ومأجوج بإغراء 999 من كل 1000 من أهل الأرض بأن يتبعوا طريقة حياتهم المنحطة ، ولكن عباد الله تعالى المخلصين سيقاومونهم ، وسيقتدون بدلاً عن ذلك بأصحاب الكهف بأن يهجروا الدنيا لأجل المحافظة على إيمانهم بالله تعالى .

وعلى المؤمنين أن يهاجروا في نهاية الأمر من مدائن العالم الحديث إلى الأرياف النائية لكي يتجنبوا هم وأزواجهم وأولادهم مشاهدة الجحيم معروضة أمام أعين العالم العلماني الكافر بالله (الآيتان 5 و 6 من سورة التكاثر 102) :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

أي لو كنتم قادرين على الإحاطة بالعلم المبني على اليقين (أي لو كنتم تملكون البصيرة الروحية الحدسية التي في القلب) ، فسوف ترون الجحيم بالتأكيد (عندما تعرض على الكفار في الدنيا) .

الآية 101

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾

أي إن الذين يكوّنون الآن التيار العام للمجتمع ، ويعيشون حسب طريقة حياة أصحاب النار ، سيكونون أناساً على أبصارهم غطاء يحجبها عن ذكر الله ، وتكون أسماعهم عاجزة عن سماع كلام الحق .

ترتبط هذه الآية بالجحيم المعروضة ، ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ ، وتحذرنا من أن تلك الجحيم تنتظر كل من لهم أعين لايرون بها ، وآذان لا يسمعون بها ، وقلوب لا يعقلون (أي لا يفهمون) بها . والنتيجة التي لا مفر منها هي أنه لن يتعرف على الدجال كدجال عندما يظهر في صورة بشر

إلا الذين يملأ أرواحهم نور من عند الله ، ولن يتعرف غيرهم على يأجوج ومأجوج الذين هم أوروبيون من قبيلة الخزر من أوروبا الوسطى ، اعتنقوا الدين اليهودي بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم بزمن قصير ، ولن يتعرف غيرهم على الحدث الهام الذي خطط له الله تعالى إذ تنفذ هذه الكائنات الخبيثة مهمتها بخداع بني إسرائيل وإرجاعهم إلى الأرض المقدسة ليستعيدوها كأرض لهم .

إذاً سيكون هجوم الدجال هجوماً على مقدرات المعرفة (على نظرية المعرفة) ليجعل الناس عاجزين عن "رؤية" و"سمع" وبالتالي "فهم" الواقع الحاصل في هجوم الدجال نفسه الذي يضع الناس بواسطته على الطريق إلى جهنم .

وكما شرحنا أعلاه ، فإن الناس سوف ينخدعون بالمظاهر الخارجية للأمور بينما يبقون عاجزين عن النفاذ إلى واقع الأمور في داخلها . وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الهجوم على نظرية المعرفة عندما قال إن الدجال يرى بعين واحدة ، العين اليسرى ، وأنه أعمى (أعور) العين اليمنى . و تأويلنا لذلك هو أن الدجال أعمى "داخلياً" (أعمى القلب) ،

وأن الهدف من هجوم الدجال على البشر هو أن يجعلهم عميان في داخلهم أيضاً .

وينبغي أن يستعيذ المؤمنون بالله تعالى من هذه الفتنة الكبرى للدجال ، بواسطة الدعاء التالي :

"اللهم أرِني الأشياء كما هي ."

أي أرني الأشياء كما هي في واقع الأمر لكي لا أنخدع بمظهرها الكاذب .

الآية 102

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴾

أي هل يعتقد الكفار (الذين يرفضون القرآن ، آخر كتاب أنزله الله ، ويرفضون نبي الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم) أنهم سوف ينجحون في إغراء عبادي المؤمنين المخلصين بأن يحالفوا الكفار ويصادقوهم بدلاً عن بقائهم مخلصين لله ؟ لقد هيأنا جهنم لترحب بكل الذين يكفرون بهذا الشكل (وترحب أيضا بكل من يصبح صديقاً للكفار ويفضل صحبتهم على

صحبة الله ورسوله والمؤمنين) .

إذا لم يدرك قادة المسلمين أننا نعيش الآن في العصر الذي قارب الدجال فيه أن يكمل مهمته التي كتبها الله له بأن يحكم العالم في النهاية من القدس (من دولة إسرائيل الدجالة) ، فكيف سيقوم هؤلاء القادة بأداء وظيفة الرعاية والإرشاد للأمة ؟ ولكن هذا بالضبط هو نوع القادة الذين يقودون اليوم الجماعات والأمم الإسلامية حول العالم اليوم ، باستثناء القليلين منهم . بعضهم يبدي اتباعاً ظاهرياً لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتعلقاً مخلصاً بالإسلام ، ولكنهم يبقون غافلين تماماً عن الأفخاخ التي نصبها الدجال لهم . ويعانون من العمى في داخل قلوبهم بسبب جهلهم ورفضهم العنيد لمقدرة الله تعالى أن يضع العلم في قلوب عباده . ويأتيهم العمى في داخل قلوبهم أيضاً كعقوبة من الله بسبب الحرب الجاهلة التي يشنونها ضد شيوخ الإسلام الروحيين ، شيوخ الصوفية الراشدين .

ويتعاون بعض قادة الجماعات الإسلامية تعاوناً مشيناً مستمراً مع أعداء الإسلام ، بل إنهم يصلون إلى مواقع قيادة الجماعات الإسلامية إما بالدعم العلني أو السري من قبل أعداء الإسلام ،

أو بواسطة دفتر الشيكات . ويعاني العالم الإسلامي اليوم ، إذ يقود قطعانَ الغنم عملاءُ الذئاب من الرعاة الذين يتمتعون بحماية الذئاب ، ويدفع الذئاب مرتباتهم ، وهذا يشمل جماعة المسلمين في بلدي ترينيداد وتوباغو .

لقد تحالف نصارى ويهود أوروبا ليكونوا أداة أساسية في صنع وصيانة نظام يأجوج ومأجوج العالمي الذي يسيطر اليوم على العالم ، وقد حرم القرآن الكريم بالتصريح المباشر أن يكون المسلمون أصدقاء وحلفاء لهذا التحالف ، وحذر أن من يعانق هذا التحالف أو يعانقه التحالف سيكون فرداً من أفراد عائلة يأجوج ومأجوج ، وسيدخل النار معهم (الآية 51 من سورة المائدة 5) .

وفي نهاية سورة الكهف هذا الإعلان الوثيق أن عباد الله الذين يكونون مرشدين حقيقيين سوف يقاومون الكفار ولن ينضموا أبداً إلى المجتمع الكافر أساساً ، وأنهم لن يصادقوا أو يحالفوا التحالف الأوروبي النصراني اليهودي الذي يحكم العالم الآن . بل إن عباد الله تعالى المخلصين سوف يجاهدون للحفاظ على إخلاصهم لله تعالى بأن ينفصلوا عن ذلك العالم الكافر بدلاً

عن مصادقته .

الآيتان 103 و 104

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

قل : هل نخبركم عن أكبر الخاسرين في كل أعمالهم ؟ إنهم الذين ذهبت جهودهم ضياعاً في الحياة الدنيا (لأنهم ركزوا جهدهم على الحصول على الأشياء الدنيوية من غير أن يعوا أن كل أعمالهم وجهودهم ذهبت سدى لأنهم كانوا ضالين) بينما كانوا يظنون أنهم يكسبون الخير في أعمالهم (أي اعتقدوا أن إنجازاتهم رائعة وأن حياتهم كانت ناجحة) .

إن حضارة "البِيض" الغربية الحديثة العوراء وعبيدها من "الملوَّنين" حول العالم يدعون ادعاء واهياً وباطلاً كل البطلان . إنهم يريدون أن يقنعوا البشرية أنه بما أن العالم يشهد تقدماً تقنياً غير مسبوق ، فهو يتحسن باستمرار وهو بالتالي خير العوالم . وأن الحضارة الغربية الحديثة المسؤولة عن هذا "التقدم" قد جعلت كل الحضارات السابقة بما فيها الإسلام قديمة وعلى

فراش الموت ! ولذلك فإن البشرية ينبغي أن تترك كل طرق الحياة السابقة للطرق الحديثة ، وأن تعانق من كل قلبها طريقة الحياة الأوروبية النصرانية اليهودية وتقلدها .

وتوصف أمريكا وبريطانيا وكندا وأوروبا وأستراليا وسنغافورة وغيرها وتُسَوَّق على أنها جنة الله في الأرض ، وعامة البشر المصابون بالعمى الداخلي قد غسلت أدمغتهم وهم يحلمون بالحصول على جواز سفر إلى هذه الجنة . ولكن هذه الجنة التي تبهر التيار العالم للمجتمعات حول العالم تأخذهم إلى نار جهنم في واقع الأمر .

وعبيدُ الغرب الملونون المسلمون العُور ينتقدون إنشاء القرى الإسلامية التي تريد الانفصال عن العالم الحديث ، ويصرون على أن المسلمين يجب أن يبقوا جزءاً من التيار العام للمجتمعات رغم أن ذلك التيار العام في طريقه إلى مزبلة التاريخ .

الآية 105

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

إنهم الذين (أصبحوا من الضالين لأنهم) يرفضون رسالات ربهم (وهذا القرآن آخِرُها وأهمُّها) (وهم إما أن يكونوا من الذين يرفضون دعوى القرآن بأنه منزل من عند الله ، وإما أن يكونوا من الذين يقبلون القرآن ولكن لايعيشون طبقاً لتعليماته) ، و(هم أيضاً يرفضون الإيمان الفعلي) بأنهم قد قُدِّرَ عليهم أنهم سيلتقون بربهم (في يوم من الأيام ليحاسبهم) . ولذلك فكل أعمالهم (في حياتهم الدنيا) لن يكون لها أية قيمة ، ولن نعطيهم أي وزن في يوم القيامة (حين يوزن كل الناس على الميزان ، الوجهاء والمتسولون على حد سواء) .

تنتهي سورة الكهف بتحذير خطير أن رد فعل الله تعالى على الذين يخونون الحق هو أن يرفض أن يعطيهم أي وزن في يوم الدين (يوم الحساب) عندما يوزن كل إنسان على الميزان ، فمن كان وزنهم ثقيلاً فسيدخلون الجنة ، ومن كان وزنهم خفيفاً أو كانوا بلا وزن فسيعاقبون بنار جهنم .

الآية 106

﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي

هُزُوًا ﴾

ستكون جهنم جزاءَهم (العادل) لأنهم أنكروا الحقيقة (التي في القرآن) ولأنهم استهزؤوا برسالاتي ورسلي واتخذوهم هدفاً لازدرائهم وسخريتهم .

سيشهد العصر الأخير حرباً على الإسلام يكون المسلمون الصالحون فيها عرضة للسخرية والاضطهاد ، ولكن مايطمن المؤمنين هو تأكيد الله تعالى لهم أنه سوف يعاقب معذبيهم بنار جهنم . وكذلك تنتهي سورة الكهف كما بدأت بإنذار بعقوبة رهيبة من الله تعالى .

الآية 107

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾

أما الذين يحققون الإيمان (أي الذين دخل الإيمان بالله تعالى في قلوبهم ، فهم فعلاً يخافونه ، وفعلاً يحبونه ، ولذلك فهم ينفصلون عن الذين يكرههم الله ، ويحبون الذين يحبهم الله) ويسلكون سلوكاً صالحاً ، (فنحن نؤكد لهم) أن جنات الفردوس (ستكون في انتظارهم و) سترحب بهم .

وتنتهي سورة الكهف كما بدأت برسالة أمل قوية للمؤمنين ذوي السلوك الصالح ، فبما أنهم كانوا يتعرضون لأخبث وأكبر عاصفة على الإطلاق ، فسوف تكون مكافأتهم أعلى الجنان : جنة الفردوس .

الآية 108

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾

سيسكنون فيها إلى الأبد ، ولن يرغبوا أبدا في التحول عنها .

لن تكون مكافأتهم خالدة فحسب ، بل إن رضاهم وسعادتهم ستكون كاملة ، فلن يرغبوا في التغيير أبداً .

الآية 109

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾

قل : (هذه كلمات الله تعالى ، وكلمات ربي من شأنها أنه) لو أن البحر أصبح (الماء فيه) حبراً ، وحتى لو أضفت إليه بحاراً كثيرة (من الحبر) ، (فاعلم أنه) سوف تنفد البحار كلها قبل أن تنفد [معاني وتفسيرات] كلمات ربي [التي هي مصدر العلم

الحقيقي] .

ولذلك فإن الناس سوف يقعون في خطأ كبير جداً ، إذا رفضوا هذا القرآن ، أو هذا النبي ، أو استهزأوا بهما ، أو أهملوا اتباع إرشاداتهما . فالقرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم هما مصدر العلم الذي يأتي إلى الناس من عند الله تعالى مباشرة . إن العلم بالعالم الخارجي ذو أهمية أيضاً لأن الله هو الذي خلق العالم الخارجي . ولكن العلم الذي يبلغه الله داخلياً إلى قلوب عباده [عن طريق كلماته] هو أهم من ذلك بكثير ، وهو علم لا ينفد ولا نهاية له .

الآية 110

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(أيها النبي) قل : أنا بالتأكيد (مجرد) بشر مثلكم كلكم (ولست إلهياً ولا ابن الله ولا مايشبه ذلك) ، ولقد أوحي إلي أن إلهكم إله واحد (أي الله الذي لا إله غيره) ، فمن كان يتطلع (في أمل وهيبة) إلى لقاء ربه (والأمل هو أن يكون سعيداً مسروراً في

يوم الحساب) ، فليعمل أعمالاً صالحة (أي ليكن سلوكه صالحاً) ، ولا يعطِ من العبادة [الخضوع والطاعة] التي يستحقها ربه فقط أية حصة [شراكة] لشيء ما أو لشخص ما (وهذا معنى أن لا يشرك بالله شيئاً) .

لقد بدأت السورة بإنذار شديد إلى الذين قالوا إن الله تعالى "اتخذ ولداً" . ووصفت هذا القول بأنه من الكبائر (كبرت كلمة) وأنه كذب . وتعود السورة في نهايتها إلى موضوع الشرك ، ولكن التركيز هنا على حفظ رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف بالشرك .

إن جوهر الحق الذي بلغه آخر الأنبياء هو "إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" . وفي آخر ألفاظها تحض سورة الكهف الذين يودون أن يرجعوا إلى ربهم في حال يرضيه أن يفعلوا شيئين اثنين : أن يكون سلوكهم صالحاً ، وأن يتخذوا أشد الاحتياطات لتجنب ذنب الشرك بكل أشكاله المختلفة .

الملحق الأول

أهمية الأحلام والرؤيا في الإسلام
من حيث نظرية المعرفة

يخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى يعاقب الكفار عقوبة من حيث نظرية المعرفة بأن يختم على "قلوبهم" و "سمعهم" ، وبأن يضع غشاء على "أبصارهم" (الآية 7 من سورة البقرة 2) . وينتج عن ذلك أن "تموت" قلوب هؤلاء ، وأنهم لا "يرون" إلا بعيونهم الخارجية . فلا يستطيعون الحصول على العلم إلا عن طريق الملاحظة الخارجية وما يسمى بالبحث العلمي . وهم عاجزون عن الوصول إلى العلم "داخلياً" أو "روحيا" عن طريق البصيرة ، أو "الأحلام الصادقة" (التي تتنبأ بما سيحدث) أو "الرؤيا" .

والحلم والرؤيا هي من أمور عالم القلب البشري ، وهما يعطيان علماً يسمح لنا بالنظر إلى أعماق طبيعة الإنسان وسلوكه . الحلم الصادق والرؤيا هديتان من الله إلى القلب ، ولا تأتيان إلا إلى قلب سليم صحيح بريء ومشبع بمادة الدين ، وهي الإيمان

بالله تعالى . ينعم الله بالحلم الذي يتحقق والرؤيا على من كان قلبه حياً ليبلّغه علماً مقدساً . ويمكن أن يأتيه علم داخلي عن أحداث مستقبلية ، وعندما تحدث هذه الأحداث فعلاً فإنها تثبت صحة الرؤيا . ويمكن أن يأتيه تحذير في حلم ، فإذا كان عاقلاً فسوف يحذر ويتجنب المصيبة .

وهناك أحلام كالكوابيس تعتبر هجوماً على القلب في محاولة لتضليله وخداعه وإفساده ، أو تزعج القلب وتعذبه وتحدث فيه خللاً .

وأخيراً هناك نوع من الأحلام إما أن تكون دواء للقلب أو نافذة إلى القلب نستطيع من خلالها أن نرى قلوبنا أي أنفسنا ، مهما كان يسرنا أويحزننا أن نرى أنفسنا على حقيقتها .

ونحن نعيش اليوم في عالم مليء بالفساد والكفر إلى درجة أن أكثر البشر وكثير من المسلمين لا يستطيعون "الرؤية" بالعين الداخلية . ولم يعد معظم الناس يدركون أن ما يزعم المرء أنه يراه بعينه الداخلية لا تثبت صحته يقيناً إلا عندما يرى حلماً صادقاً يتحقق أو رؤيا تتحقق . والواقع أن كثيراً ممن يقال إنهم مؤمنون في عالم اليوم الغريب يشكّون في العلم الذي يتلقاه

المرء من الداخل ، ولا يبدي هؤلاء أي اهتمام في البحث عن الرؤية الداخلية .

والعقل الديني الذي يشك في العلم الداخلي هو ظاهرة جديدة في الأمة الإسلامية ، نشأت نتيجة لتأثير علمنة الفكر والعلم الآتية من الحضارة الغربية المادية المسيطرة على العالم . وقد مهدت العلمانية الطريق للمادية في علوم ما وراء المادة ، ومهدت للهجوم من باب نظرية المعرفة على العلم الروحاني الداخلي ، وتولد من ذلك في النهاية دين جديد يسمى "الحركة الإنسانية" (humanism) ، وهي مبنية على الطريقة العلمية والعقلانية ، وترفض كل ماهو متعلق بالتجربة المتجاوزة للمعتاد !

ولم يكن صدفة بل عمداً أن يضع العالم الحديث الكافر ظاهرة الأحلام الصادقة (التي تتحقق) في سراديب المتاحف الأكاديمية والعقلانية ، وذلك لأن الحلم الصادق لا يمكن تعليله بواسطة نظرية المعرفة الغربية التي تبرمج البشر على الشك في صحة العلم الذي يأتي من مصادر تجاوز الملاحظة العلمية . والخبث الشيطاني للطريقة الغربية يكمن في البحث عن تعليل طبيعي (علمي) للتجربة الدينية مثل الحلم الذي يتحقق .

أما المسلمون فقد أعطتهم ظاهرة الأحلام الصادقة (المتحققة) فرصة أرسلها الله تعالى لإثبات صحة نظرية المعرفة الإسلامية وبالتالي التفسير الروحي للواقع والكون وطبيعة الإنسان . ولكن باستثناء أساتذة الصوفية النادرين الواسعي المعرفة أمثال الدكتور محمد إقبال ، فإن علماء الإسلام الذين يعيشون في العصر الحديث الذي برز فيه الغرب لم ينتجوا أي عمل نظري عن ظاهرة الأحلام من المنظور النفساني الإسلامي . إن هناك أعمالاً يقوم بها علماء درسوا علم النفس الغربي (أي علم النفس كفرع علمي طورته الحضارة الغربية العلمانية) ، ولكنهم لن يفقهوا طبيعة هذه الظاهرة لأنهم يعملون في إطار علمي علماني محض .

ونود أن نطرح السؤال : لماذا فوّت علماء الإسلام وما يسمى بحركات الإصلاح الإسلامية الكبرى ، لماذا فوّت هؤلاء الفرصة الذهبية لاستعمال الأحلام الصادقة كوسيلة علمية للقضاء على نظرية المعرفة الغربية ؟ لقد سجل إقبال ملاحظته الشهيرة أن الفكر الإسلامي ظل بلا حراك عملياً طوال القرون الخمسة الماضية (محمد إقبال ، إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام ،

لاهور ، معهد الثقافة الإسلامية ، 1986 ، ص 6) .

وهذه الملاحظة جديرة بأن تنذر المسلمين وتهز أذهانهم ليبحثوا عن سبب السبات العقلي في فكرنا الديني . ونرى أنه قد نشأ نوع من الإسلام يتصف بالعلم والحداثة ويشبه البروتستانت عند النصارى بسبب التأثير العقلاني للاستعمار الغربي على المسلمين ، وكان هذا الإسلام وليد نفس نظرية المعرفة الغربية التي رفضت أي علم إلا ما أتى من الملاحظة العلمية .

وبرز هذا الإسلام الذي انتزع منه قلبه الروحي في المملكة العربية السعودية في صورة حركة الوهابيين الذين شنوا حرباً لا هوادة فيها على التصوف ، فتخلصوا من الطفل عندما تخلصوا من الماء الذي غسلوه فيه وهم لايشعرون .

وندرك الآن أن التصوف قد فقد حركيته العقلية وقدرته على انتاج البحث الجديد ، وهو ينجرف مع التيار ، شأنه شأن كل شيء آخر في الحضارة الإسلامية ، وقد سجل إقبال هذا الفشل تسجيلاً لاذعاً في كتابه الشهير الذي نقتطف منه :

إن طرق الروحانية التي طورت بها الحياة الدينية نفسها

في أسمى مظاهرها في العصور الوسطى ، في الشرق والغرب ، قد فشلت الآن عملياً . وربما عاثت فساداً في الشرق الإسلامي أكثر من أي مكان آخر . فبدلاً من تكامل قوى الإنسان العادي في حياته الداخلية ، وإعداده للمشاركة في سَيْر التاريخ ، فقد علمته الزهد الكاذب وجعلته راضياً بغفلته وعبوديته الروحية .

(إقبال ، المرجع السابق ، ص 148–149)

وقد نبه تلميذ إقبال المستنير مولانا الدكتور فضل الرحمن الأنصاري إلى فساد التصوف ، ولكنه حذر من "التخلص من الطفل بالخطأ أثناء التخلص من الماء الذي غُسِل فيه" :

إن فساد المجتمع الإسلامي الهائل لأسباب يعلمها دارسو تاريخ الإسلام جيداً ، قد أدى إلى فساد فقه وممارسة التصوف في عدة أبعاد ، وكذلك أسيء استعمال التصوف لأغراض وأفكار خاطئة في بعض الأماكن . ورغم ذلك فإن إزاحة الرحلة الدينية الإسلامية (التصوف) عن مقامها الذي تستحقه يعادل نقض الإسلام نفسه ، وكذلك تفسير التصوف بمصطلحات

الروحانية النابعة من أديان أخرى هو خرق صارخ للحقيقة .

(الأنصاري : الأسس والبنية القرآنية للمجتمع المسلم ، الاتحاد العالمي للبعثات الإسلامية ، كراتشي ، المجلد الأول ، هامش ص 152)

لقد خطف انتهازيون محترفون التصوف وأدخلوا عليه ممارسات منحرفة أنشأوا بواسطتها عبودية روحية . أما حركات الصحوة الإسلامية الحديثة ، فقد شنت حروباً دون كيخوتية هدفها تنظيف العقائد والممارسات الإسلامية من كل ما اعتبروه بدعة صوفية ، فكانوا بذلك حصان طروادة في داخل الأمة الإسلامية ، سمح لنظرية المعرفة الغربية باختراق الفكر الإسلامي ، فتخلصوا من الطفل عندما تخلصوا من الماء الذي غسلوه فيه وهم لايشعرون . وعندئذ أعلنوا أن النسخة المنظفة العلمانية من الإسلام هي الصحوة الإسلامية .

أما مايدعى بالحركات الكبرى للإصلاح الإسلامي فقد أنشأت مراكز دراسة وخرجت أعداداً كبيرة من العلماء العاجزين عقلياً عن الرد على الهجوم الخطير على علماء وفكر الإسلام من

باب نظرية المعرفة ، لأنهم هم أنفسهم وقعوا في أفخاخ نظرية المعرفة الغربية . والأسوأ من ذلك أن حميتهم وتهجمهم الضال حتى على التصوف الإسلامي الأصيل نتج عنه أضرار داخلية في روحانيتهم بحيث أصبحوا عاجزين عن تلقي نعمة الله تعالى وهي الحلم الصادق والرؤيا ، وهذه قد ثبت في الحديث الصحيح أنها نعمة مستمرة في آخر الزمان على كل مؤمن .

وقد سبقت حركة المعتزلة بزمن طويل هجوم الغرب المادي على الفكر الإسلامي وعلمنته ، فمذهب التفكير المعتزلي في العالم الإسلامي كان ظاهرة مشابهة لذلك . ويصف إقبال ما حدث :

كان المعتزلة يعتبرون الدين كمجرد مجموعة من العقائد ، ويهملونه كحقيقة حيوية ، ولم يكترثوا بالأساليب غير العقلانية لدراسة الواقع ، فحولوا الدين إلى مجرد نظام مكون من أفكار منطقية تؤول إلى مواقف سلبية . وفشلوا في إدراك أنه في الحقل العلمي ، دينيا كان أو دنيوياً ، يستحيل أن يستقل الفكر عن التجريب الواقعي استقلالاً كاملاً . (ويشير إقبال هنا إلى التجربة الدينية

وغيرها ، والتجربة الدينية تشتمل على الحلم الصادق) .
(إقبال ، المرجع السابق ، ص 4)

وكان من عبقرية إقبال أنه استطاع التمييز بين التصوف الأصيل والانحرافات عنه . وكان من عبقريته أنه نجح في التعبير العلمي عن نظرية المعرفة الصوفية بشكل قضى على الاعتراضات الجسيمة التي طرحها كثيرون من معتنقي الحداثة الذين تخرجوا من معاهد علمية علمانية سواء كان هؤلاء في الغرب الحديث أو العالم الإسلامي . ولو تخرج إقبال من معاهد إسلامية كجامعة الأزهر في مصر ، أو معهد ديوباند وغيره من معاهد الإسلام في الهند ، لما أصبح العالمَ البارز العظيم والحكيم المعروف ، وسبب ذلك لايرجع فقط إلى موهبته الفطرية ، بل إلى نظرية المعرفة التي ورثها من التصوف الأصيل ، وهي نظرية معرفة لا يستطيع الإسلام الحديث أن يأتي بها أبداً .

وتختلف الطريقة العلمية في أوروبا العلمانية عن الطريقة العلمية التي وصلت إلى أوروبا من إسبانيا الإسلامية . لقد أنشأت أوروبا العلمانية اليهودية النصرانية ديناً جديداً مبنياً على

عقائد متصلبة زعمت أنه لا يدخل في البحث العلمي إلاما يمكن ملاحظته ، وبذلك تبنى هذا الدين العقائدي الجديد عادات التفكير الواقعي [ضد التجريدي] الذي ينفي مادة الدين ودم الحياة فيه ، أي الإيمان بالغيب أو العالم الذي لا نراه ، والتجربة المباشرة لذلك العالم الغيبي في معجزة القرآن .

ثم أنشأت أوروبا عقيدة أساسية وقحة ، وهي زعمهم أن المعرفة العلمية هي المعرفة الحقيقية وأن كل ما عداها من نوع الخرافات . وهكذا أقفل العقل الديني الحديث في أوروبا أبوابه ببطء في وجه التجربة الدينية ودراسة أمثالها من الظواهر . إن الحلم الصادق تجربة دينية . ويستثنى منهم ويليام جيمس الذي قدم خدمة نافعة جداً للفكر الديني في كتابه المعروف "أنواع التجربة الدينية" الذي يجد الحلم الصادق فيه مقاماً مرموقاً .

ماهي الطريقة العلمية التي يمكن بواسطتها دراسة الحلم الصادق ؟ وإليكم مثال للحلم الصادق : رأيت الليلة في منامي أن بيت جاري يحترق ، وعندما أصبحت وجدته قد احترق .

إن التفسير الإسلامي للحلم الصادق هو أن الأحداث توجد في عالم لا نراه قبل أن تحدث في هذا العالم . إذاً كان الحريق

موجوداً في عالم غير مرئي ، ونقلت الملائكة المعلومات في حلم قبل أن يحدث الحريق في هذا العالم فعلاً .

إذاً تجربة الحلم الصادق لا يمكن أن تكون موضوعاً للبحث العلمي لأن علم النفس العلماني الغربي الذي يستخدم الطريقة العلمية الجديدة لا يمكن أن يتجاوز الظواهر التي يمكن ملاحظتها . وقد كان فرويد منتجاً كاملاً للتفكير العلمي الجديد ، وحاول بجهد لا فائدة منه أن يجد تفسيراً طبيعياً لظاهرة الحلم الصادق .

وبسبب الخطر الكبير الذي تشكله نظرية المعرفة الغربية الجديدة والدين العلمي الناجم عنها ، بسبب هذا الخطر بالضبط فقد ابتدأ إقبال كتابه العظيم "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام" بفصلين ألفهما بشكل قوي عن "العلم والتجربة الدينية" و "الاختبار الفلسفي لما تكشفه التجربة الدينية " . ثم أتبعهما فيما بعد بفصل عنوانه "هل الدين ممكن ؟"

لقد بذل إقبال جهداً بطولياً في الرد على تحديات الإسلام الحداثي ورفضه للتجربة الدينية كمصدر للعلم . وبدأ جهده هذا بمعالجة الموضوع في مقدمة الكتاب . ونقدم أدناه مقتطفات

مطولة عسى أن نشجع على دراسة عمله العظيم أولئك الذي لا يعرفون فكره أو الذين لم يتمكنوا بعد من فهمه :

إن القرآن كتاب يركز على "العمل" بدل "الفكرة" . ولكن هناك أناساً لا يمكن لهم عضوياً أن يفهموا عالماً غريباً عنهم بأن يعيشوا مرة أخرى – كعملية حيوية – ذلك النوع الخاص من التجربة الداخلية التي يرتكز عليها الإيمان الديني في النهاية . ثم إن الإنسان الحديث قد أنقص من مقدرته على تلك التجربة باتخاذه عادة التفكير الواقعي التي تبناها الإسلام نفسه في المراحل المبكرة من تاريخه الثقافي على الأقل ، وهو يشك أيضاً في التجربة الداخلية لأنها عرضة للوهم . لاشك أن مدارس التصوف الأصيلة كان لها فضل في صياغة وتوجيه تطوير التجربة الروحية في الإسلام . ولكن ممثلي الصوفية في الأيام الأخيرة أصبحوا عاجزين تماماً عن تلقي إلهامات جديدة من الفكر والتجربة الحديثيْن ، وذلك لجهلهم بالعقل الحديث . إنهم مازالوا يتبعون طرقاً طورها الأوائل لأجيال تملك منظوراً ثقافياً يختلف عن منظورنا

اختلافات هامة . يقول القرآن "مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ..." (الآية 28 من سورة لقمان 31) . إن التجربة الحية لهذا النوع من الوحدة البيولوجية التي تمثلها هذه الآية تحتاج اليوم إلى طريقة أقل عنفاً من حيث وظائف الأعضاء ، وأكثر ملاءمة نفسياً لنوع العقل الواقعي . وإذا لم توجد هذه الطريقة فمن الطبيعي أن يطلب الناس شكلاً علمياً للعلم الديني ."

(محمد إقبال ، إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام ، لاهور ، معهد الثقافة الإسلامية ، 1986 ، ص v) .

إن كان هناك دفاع لايخترَق عن نظرية المعرفة الصوفية مكتوب في مصطلحات الفكر الحديث ، فقد أنجز إقبال ذلك . والمأساة منذ 1938 عندما نُشِر كتاب إقبال ، أن علماء الإسلام المعاصرين الذين أنتجهم الإسلام العلمي "البروتستانت" مازالوا عاجزين عن فهم الفصول الثلاثة المذكورة من كتاب إقبال .

لقد تصدى إقبال للتحدي ودافع عن صحة العلم الحدسي والتجربة الحدسية من حيث نظرية المعرفة ، وأعلن مايلي :

وليس هناك سبب لافتراض أن الفكر والحدس متضادان أساساً . إنهما ينبتان من نفس الأصل ويكملان بعضهما البعض . فأحدهما يتناول الواقع جزءاً جزءاً ، والآخر يتناول الواقع ككُلّ . أحدهما يركز نظره على الجانب الخالد من الواقع ، والآخر يركز نظره على الجانب الزائل من الواقع . أحدهما استمتاع حاضر بكل الواقع ، والآخر يريد عبور الكل بتحديد وإغلاق مناطق مختلفة من الكل ببطء لملاحظتها منفردة . وكلاهما يحتاج إلى الآخر لأجل إعادة حيوية الشباب لبعضهما البعض . كلاهما يبحث عن رؤية بعد أخرى للواقع نفسه الذي يكشف نفسه لهما حسب وظيفتهما في الحياة . والواقع أن الحدس كما يقول برغسون ، وهو على حق ، هو نوع أسمى من العقل ."

(محمد إقبال ، إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام ، لاهور ، معهد الثقافة الإسلامية ، 1986 ، ص 2) .

ومن المهم جداً للقراء المرتابين في الأمر أن يعلموا أن القرآن نفسه اختار أن يبدأ إرشاده للناس بالإصرار من البداية أن

الإيمان الديني مبني أساساً على الإيمان بما يتجاوز ملاحظتنا العادية ، أي ما وراء عالم الفكر الواقعي ، وهو الغيب (الآية 3 من سورة البقرة 2) ، والحلم الصادق ينتمي إلى ذلك العالم . بل إن أعمق تجربة في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي رحلة الإسراء والمعراج (ولم تكن حلماً) إلى عالم الغيب ، وكان الغرض من الرحلة أن يجرب عالم ما وراء المحسوس تجربة مباشرة ، ويعلن القرآن (الآية 18 من سورة النجم 53) :

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

إذا أردنا أن نسمح للحق أن يلعب الدور الذي لا يستطيع إلا الحق أن يلعبه ، فيجب أن ننتزع العلم من براثن العلمانية . ودور الحق في حياة البشر هو أن يعيد المجتمع الإنساني إلى عقائد وقيم الدين الأصيل ، وهذا وحده مايستطيع أن يرسخ الإنسانية في حياة مليئة بالسلام والسعادة والرضا والنجاح .

ولكي ننتزع العلم من براثن العلمانية يجب أن نثبت أن علماً آتياً من الغيب موجود في هذا العالم . والغيب هو العالم الذي لا نراه ، وهو مصدر يتجاوز التجربة العادية . ولن يستطيع

العقل الحديث أن يعمل جادّاً لإعادة حياة المقدسات إلا عندما ينفصل العلم عن العلمانية . وقد حاول العالم الإسلامي المتميز الراحل إسماعيل فاروقي أن يفصل العلم عن العلمانية ، ولكنه للأسف اختار مصطلح "أسلمة العلم" فجعل الهدف الأساسي وهو فصل العلم عن العلمانية غامضاً على الذين ورثوا مهمته النبيلة في سبيل الحق . لقد سقط الأستاذ الفاروقي ضحية عمل إرهابي ، كما سقط الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية ، ورئيس باكستان ضياء الحق ، ورئيس باناما عمر توريخو ، وجيمي رولدوس من الإكوادور ، وسالفادور أليندي من شيلي ، وغيرهم . وكان ذلك قبل أن يشن الإرهابيون الذين قتلوهم ما يسمى بالحرب على الإرهاب .

إن دراسة جادة لظاهرة الأحلام من قبل عالم نفس مسلم واسع المعرفة ستكون خطوة هامة تجاه فصل العلم عن العلمانية ، وإعادة توجيه الفكر إلى الاعتراف بأولوية المقدسات ، وفهم الانسجام الأساسي في العلاقة بين الصورة "المادية" والجوهر "الروحي" في الكون الخارجي وفي عالم الإنسان . ولابد من عالم إسلامي آخر بجودة ووزن الدكتور محمد إقبال لإجراء

دراسة في علم ماوراء الطبيعة عن الأحلام الصادقة .